الداعية
وخدمة المجتمع

د . عبد الله بن إبراهيم اللحيدان

أستاذ مشارك بقسم الدعوة والاحتساب

بكلية الدعوة والإعلام

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٤٢٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فالداعية لا يستقيم له حال أو تنجح له دعوة إذا كان بمعزل عن المجتمع، وإذا كان الإنسان كما قيل: مدني بالطبع أي لا بد له من الاجتماع[1]، فإن الداعية يجب أن يكون ألصق الناس بهذه الطبيعة، يغشى الناس ويخالطهم ويصبر على ما يكون منهم ، وتتعدد أساليب الدعوة إلى الله وتختلف باختلاف المدعوين، فالدعوة منذ عصر الرسالة لها منهجها الواضح في الكتاب والسنة، والداعية مأمور بالأخذ بكل الأسباب التي تعين على نجاح دعوته ، وهو من الحكمة التي أمر أن يلزمها كما قال تعالى: **(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)**[2]، على أن الدعوة لم تلزم طريقة واحدة تسير عليها لا تعدوها بل تنوعت الطرائق بحسب الأحوال والأزمنة والأمكنة، والإحسان إلى المدعوين بالقول والعمل والقدوة من ركائز الدعوة، وإن مما يجمع عليه الناس هو محبة الناس لمن يحسن إليهم ويقضي حوائجهم.

إن بذل المرء نفسه لخدمة الناس والسعي في حاجاتهم من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ، وهي للداعية باب إلى قلوب المدعوين، وهي دعوة بمكارم الأخلاق في هذا الأمر، وحيث لم يجد الباحث دراسة دعوية مستقلة عن موضوع البحث المعروض هنا فإن هذا البحث يسعى إلى بيان ذلك من خلال الوقوف على هدي الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهدي سلف الأمة من الصحابة والتابعين ، مما يؤكد أهمية هذا الطريق للداعية ، وإنما يكمل أثر الداعية إذا اقترن إحسانه بالهداية بإحسانه بالخدمة وقضاء حوائج المدعوين، فالداعية يقترب من قلوب الناس كلما أحسن إليهم بشتى صور الإحسان القولي والفعلي ، ولذلك ينبغي أن يكون هاجس الداعية إلى الله خدمة المجتمع الذي يعيش فيه لا أن يكون عالة على مدعويه.

---

(١) انظـــر : المقدمـــة ، عبد الرحمن بن خلدون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٤ ، ١٣٩٨هـــ ص ٤١.

(٢) سورة النحل ، الآية: ١٢٥

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وخمسة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: مفهوم خدمة المجتمع.

المبحث الثاني: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وخدمة المجتمع.

المبحث الثالث: النبي الخاتم ﷺ وخدمة المجتمع.

المبحث الرابع: مظاهر خدمة المجتمع في حياة الصحابة والتابعين.

المبحث الخامس: أهمية قيام الداعية بخدمة المجتمع.

ثم الخاتمة والمراجع.

أسأل الله تعالى أن يكون هذا البحث نافعاً مفيداً وأن يكون خالصاً صواباً إنه تعالى خير مسؤول.

د عبد الله بن إبراهيم اللحيدان

المبحث الأول
مفهوم خدمة المجتمع

يحسن قبل تحديد مفهوم خدمة المجتمع في هذا البحث تحديد المفهوم اللغوي لخدمة المجتمع وذلك بالرجوع إلى معاجم اللغة وبيان ذلك من خلال ما يلي:

خدمة: خدمه، خدمة: قام بحاجته[١].

المجتمع: كل ما تجمع وانضم بعضه إلى بعض[٢]، و موضع الاجتماع والجماعة من الناس[٣].

ومن هنا فإن خدمة المجتمع تعني: القيام بحاجاته أو حاجات أفراده.

وجدير بالذكر هنا أن خدمة المجتمع (community service) من المصطلحات الشائعة اليوم، لا سيما في الأوساط العلمية حيث ارتبط هذا المصطلح بالجامعات حيث يشمل جميع البرامج والنشاطات والخدمات التي تقدمها الجامعات إلى المجتمع الأكاديمي والمجتمع الخارجي بكافة أفراده ومؤسساته بما في ذلك الدورات التدريبية والبرامج الدراسية التي تقدم عادة تحت مظلة مراكز خدمة المجتمع بالجامعات[٤].

إن خدمة المجتمع في هذا البحث ترتبط بعلاقة الداعية الفعلية مع المدعوين من بذل المعروف لهم، وقضاء حوائجهم، والقيام على شؤونهم، والسعي في حاجاتهم ، والإحسان إليهم، امتثالا لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، ورجاء للثواب، وتصديقا بالوعد، كما دل على ذلك الكتاب والسنة، قال تعالى: **(لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله**

---

(١) انظر: القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر ، ط ٢ ، د ت ، ج ٢ ص٢٤ ، والمعجم الوسيط ، تأليف : إبراهيم مصطفى وآخرون ، دار الدعوة ، القاهرة، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، ج ١ ، ص ٢٢١

(٢) القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، ج ١ ، ص ٥٢٨

(٣) انظر : المعجم الوسيط ، ابراهيم مصطفى وآخرون ، ج ١ ، ص ١٣٦

(٤) انظر: واقع خدمة المجتمع والتعليم المستمر في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، د. سالم بن محمد السالم ، مطابع الجامعة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٩هـ ، ص٣٠

فسوف نؤتيه أجرا عظيما)[١]، وأمر تعالى بفعل الخير والإحسان، قال تعالى:**(وافعلوا الخير لعلكم تفلحون)**[٢]، وقال تعالى : **(وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)**[٣] ، وقال رسول الله ﷺ : (أربعون خصلة أعلاهن منيحة العنـــز، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها، وتصديق موعودها، إلا أدخله الله بها الجنة) قال حسان: فعددنا ما دون منيحة العنـــز [٤]، من رد السلام، وتشميت العاطس، وإماطة الأذى عن الطريق، ونحوه فما استطعنا أن نبلغ خمس عشرة خصلة[٥].

وعدّ العلماء من هذه الخصال : إعانة الصانع، والصنعة للأخرق، وإعطاء شسع النعل، والستر على المسلم، والذب عن عرضه، وإدخال السرور عليه، والتفسح في المجلس، والدلالة على الخير، والكلام الطيب، والغرس، والزرع، والشفاعة، وعيادة المريض، والمصافحة، والمحبة في الله والبغض لأجله، والمجالسة لله، والتزاور، والنصح، والرحمة[٦].

قال المناوي رحمه الله في فيض القدير: "ولم يفصّل الأربعين بالتعيين خوفاً من اقتصار العاملين عليها وزهدهم في غيرها من أبواب الخير، وتطلبها بعضهم في الأحاديث فزادت عن الأربعين منها: السعي على ذي رحم قاطع، وإطعام جائع، وسقي ظمآن، ونصر مظلوم ، ونوزع بأن بعض هذه أعلى من المنحة وبأنه رجم بالغيب

---

(١) سورة النساء ، الآية:١١٤

(٢) سورة الحج ، الآية: ٧٧

(٣) سورة البقرة ، الآية: ١٩٥

(٤) قال الإمام النووي رحمه الله : المنيحة: أن يعطيه إياها ليأكل لبنها ثم يردها إليه ، انظر: رياض الصالحين ، الإمام النووي ، دار السلام ، الرياض ، ط١، ١٤١٧هـ ص ١٠٢

(٥) رواه البخاري ، كتاب باب منيحة العنز ، دار السلام ، الريـــاض ، ط١ ، ١٤١٧هـــ، رقم الحديث : ٢٤٨٨

(٦) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، د ت ، ج ٥ ص ٢٤٥ وانظر تفصيل الخصال في كتاب تمام المنة ببيان الخصال الموجبة للجنة ، لأبي الفضل عبد الله بن محمد الإدريسي ، مكتبة القاهرة ، مصر ، د ت .

فالأحسن أن لا يعد؛ لأن حكمة الإبهام أن لا يحتقر شيء من وجوه البر وإن قل كما أبهم ليلة القدر وساعة الإجابة يوم الجمعة " [١].

ولعل ذلك أقرب إلى الصواب وهي تعم هذه وغيرها وتتفاوت بحسب ما يقوم بقلب فاعلها من نية صادقة.

ومن هنا فإن خدمة المجتمع في هذا البحث يقصد بها :

قيام الداعية بالإحسان إلى المدعوين وبذل كافة أنواع المعروف لهم وقضاء حوائجهم وتفقدهم والسعي في جلب مصالحهم ودفع الأذى عنهم.

والداعية عندما يقوم بخدمة المجتمع الذي يعيش فيه فإنما يتأسى بأنبياء الله ورسله عليهم الصلاة السلام على نحو ما سأبينه في المبحث التالي.

---

(١) فيض القدير شرح أحاديث الجامع الصغير ، عبد الرؤوف المناوي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط ١، ١٣٥٦هـ ، ج ١ ، ص٤٧٢.

المبحث الثاني
الأنبياء وخدمة المجتمع

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم صفوة الخلق، اصطفاهم الله تعالى لهداية البشر قال تعالى: (**الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس**)[١]، وهم أكمل الخلق في صلتهم بالخالق وفي صلتهم بالخلق، يحسنون إلى الناس دون منة أو طلب أجر، كما أخبر الله تعالى عن مقالة الأنبياء نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام لأقوامهم: (**وما أسألكم عليه من أجر، إن أجري إلا على رب العالمين**)[٢]، وقال تعالى لنبيه محمدﷺ: (**قل ما أسألكم عليه من أجر**)[٣]، وسير الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم تبين أنهم لم يكونوا بمعزل عنهم بل كانوا يغشونهم ويخالطونهم ؛ لدعوتهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وكانوا يمشون في الأسواق قال تعالى: (**وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا**)[٤]، قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير قوله : (ويمشون في الأسواق) :" ويمشون في الأسواق للتكسب والتجارة وليس ذلك بمناف لحالهم ومنصبهم"[٥].

وقد كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقا[٦]، وقالﷺ : (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)[٧]، وكان مجبولاً على الأخلاق الحسنة في أصل خلقته وأساس فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة إلا بجود إلهي وخصوصية ربانية ، وهكذا لسائر

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٧٥

(٢) سورة الشعراء ، الآيات : ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠

(٣) سورة ص ،الآية : ٨٦

(٤) سورة الفرقان ، الآية : ٢٠

(٥) تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ ج ٣ ص ٣١٤.

(٦) رواه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا رقم الحديث : ٢٣١٠.

(٧) رواه أحمد في المسند ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ ج ٢ ص ٢٧٣ ، ورواه البخاري في الأدب المفرد ، باب حسن الخلق ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح الأدب المفرد ، الألباني، دار الصديق ، الجبيل ، ط٢ ، ١٤١٥هـ ، ص ١١٨، رقم الحديث : ٢٠٧.

الأنبياء ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام ، بل غرزت فيهم هذه الأخلاق في الجبلة وأودعوا العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى : (**وآتيناه الحكم صبيا**)[١]، أي : أعطي يحيى العلم بكتاب الله تعالى في حال صباه[٢]، وقال تعالى: (**ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل**)[٣]، قال ابن كثير رحمه الله:"أي: من صغره ألهمه الحق والحجة على قومه"[٤].

وخدمة المجتمع بالمفهوم الذي ذكره الباحث خلق كريم كان عليه جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، "وكانوا يقومون به جبلة، وغيرهم قد يطبع على بعض هذه الأخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى، فبالاكتساب يكمل ناقصها، وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها"[٥].

وسأعرض لصور من سير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعنايتهم بمجتمعهم أفرادا ومجتمعين وإشباع حاجاتهم والسعي في الإحسان إليهم بكل صور الإحسان المشروعة.

أولا : إبراهيم الخليل عليه السلام.

خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام وردت قصته في غير ما سورة من كتاب الله تعالى ، وأثنى الله تعالى عليه بجملة من الخصال قال تعالى : (**إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ، شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم**)[٦]، وأثنى الله على جوده وكرمه وقيامه على خدمة أضيافه فقال تعالى: (**هل**

---

(١) سورة مريم ، الآية ١٢

(٢) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض اليحصبي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ ج١ ص ٨٢

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٥١

(٤) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج٣ ص ١٨٢

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ، ج١ ، ص ٨٤

(٦) سورة النحل، الآيتان: ١٢٠، ١٢١

أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ، فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين ، فقربه إليهم قال ألا تأكلون)[1] ، قال السعدي رحمه الله :"وفي هذه الآيات فوائد منها: مشروعية الضيافة وأنها من سنن إبراهيم الخليل الذي أمر الله محمدا وأمته أن يتبعوا ملته وساقها الله في هذا الموضع على وجه المدح له والثناء ، ومنها: أن إبراهيم عليه السلام قد كان بيته مأوى للطارقين والأضياف ، ومنها : المبادرة إلى الضيافة والإسراع بها ؛ لأن خير البر عاجله ولهذا بادر إبراهيم بإحضار قرى أضيافه، ومنها: أن إبراهيم هو الذي خدم أضيافه وهو خليل الرحمن وسيد من ضيف الضيفان"[2]. فالقيام على خدمة الضيف من سنن الأنبياء عليهم السلام. وقيام الداعية بذلك فيه تقريب لقلوب المدعوين وإيناس لهم، وتواضع لهم ودعوة لهم بالقدوة الحسنة.

ثانيا: لوط عليه السلام .

ومن الصور التي تبين عناية الأنبياء عليهم السلام بالسعي في حاجات مجتمعهم وحرصهم على حفظهم والقيام على شؤونهم ما جاء في قصة لوط عليه السلام قال تعالى: **(فلما جاء آل لوط المرسلون، قال إنكم قوم منكرون، قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون، وأتيناك بالحق وإنا لصادقون، فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون)**[3]، فهذا نبي الله لوط عليه السلام يأمره تعالى أن يكون مشيه من وراء قومه لحفظهم ورعايتهم ، قال ابن كثير رحمه الله : "يذكر تعالى عن الملائكة أنهم أمروه أن يسري بأهله بعد مضي جانب من الليل وأن يكون لوط عليه السلام يمشي وراءهم ليكون أحفظ لهم، وهكذا كان رسول الله ﷺ يمشي في الغزو إنما يكون ساقة[4]، يزجي الضعيف ويحمل المنقطع"[5].

(١) سورة الذاريات ، الآيات : ٢٤-٢٧

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤٢١هـ ص ٨١٠

(٣) سورة الحجر ، الآيات : ٦١ -٦٥

(٤) ساقة الجيش : مؤخره ، انظر: لسان العرب ، ابن منظور، دار صادر ، بيروت ، د ت ، ج ١٠ ص ١٦٧

(٥) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير، ج ٢ ص ٥٥٥ ، والحديث رواه أبو داود وسيأتي تخريجه .

وهذا من تمام رحمة الأنبياء عليهم السلام وشفقتهم، وهكذا الداعية ينبغي أن يكون مع المدعوين في سفره وإقامته، يحوطهم ويرعاهم ويسعى إلى حفظهم من كل ما يؤذيهم.

ثالثا: يوسف عليه السلام:

ومن صور البر والإحسان بالمدعوين والقيام على شؤونهم ما جاء في قصة يوسف عليه السلام، حيث وصفه الفتيان اللذان كانا معه في السجن بالإحسان كما جاء في قوله تعالى : **(إنا نراك من المحسنين)**[1] قال الإمام ابن جرير رحمه الله : "اختلف أهل التأويل في معنى الإحسان الذي وصف به الفتيان يوسف فقال بعضهم: هو أنه كان يعود مريضهم ويعزي حزينهم وإذا احتاج منهم إنسان جمع له ،عن الضحاك بن مزاحم قال: كان إذا مرض إنسان في السجن قام عليه، وإذا احتاج جمع له، وإذا ضاق عليه المكان أوسع له ، وعن قتادة قوله : (إنا نراك من المحسنين) قال : بلغنا أن إحسانه أنه كان يداوي مريضهم، ويعزي حزينهم، ويجتهد لربه. وقال آخرون : معناه : إنا نراك من المحسنين إذ نبأتنا بتأويل رؤيانا هذه. وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب القول الذي ذكرناه عن الضحاك وقتادة ، فإن قال قائل : وما وجه الكلام إن كان الأمر إذن كما قلت وقد علمت أن مسألتهما يوسف أن ينبئهما بتأويل رؤياهما ليست من الخبر عن صفته بأنه يعود المريض ويقوم عليه ويحسن إلى من احتاج في شيء وإنما يقال للرجل: نبئنا بتأويل هذا فإنك عالم ، وهذا من المواضع التي تحسن بالوصف بالعلم لا بغيره ، قيل: إن وجه ذلك أنهما قالا له : نبئنا بتأويل رؤيانا محسنا إلينا في إخبارك إيانا بذلك كما نراك تحسن في سائر أفعالك إنا نراك من المحسنين"[2]. ومن هنا فإن الأنبياء عليهم السلام لا يتوقفون عن قضاء حاجات الناس والقيام على شؤونهم على اختلاف الأحوال والأزمنة والأمكنة. وهذا هو ما ينبغي أن ينتهجه الدعاة، يتتبعون حاجات المدعوين حيثما كانوا وأينما حلوا، لا يتوقفون عن الإحسان إلى الخلق ولا يملون من ذلك.

(١) سورة يوسف ، الآية : ٣٦

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، ج١٢ ، ص ٢١٥،٢١٦. بتصرف

رابعا: موسى عليه السلام .

ومن الصور التي تبين سعي الأنبياء عليهم السلام في قضاء حوائج المدعوين ومساعدتهم ما جاء في قصة موسى ﷺ قال تعالى: **(ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل، ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير، فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير)**[١]، فنبي الله موسى عليه السلام يقوم بالسقي لهاتين المرأتين قال النسفي رحمه الله : "فسقى غنمهما لأجلهما رغبة في المعروف وإغاثة للملهوف"[٢]، "فما أخطأت همته في دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع، ولكنه رحمهما فأغاثهما وكفاهما أمر السقي في مثل تلك الزحمة بقوّة قلبه وقوّة ساعده وما آتاه الله من الفضل في متانة الفطرة، ورصانة الجبلة، وفيه مع إرادة اقتصاص أمره وما أوتي من البطش والقوّة، وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز فرصة الاحتساب ترغيب في الخير وانتهاز فرصه ، وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين والأخذ بسيرهم ومذاهبهم"[٣]. إن رحمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعطفهم وسعيهم في حاجات المدعوين لا تختص بمكان دون آخر، أو مع قوم دون آخرين فأينما كان مقامهم ، فهم يقومون بدعوة الناس وإعانتهم شفقة ورحمة وإحسانا.

خامسا: عيسى عليه السلام.

وورد عن نبي الله عيسى عليه السلام صورة أخرى من صور خدمة الأنبياء لمجتمعاتهم ، حيث كان يقوم عليه السلام بنفع عباد الله تعالى أينما كان، قال تعالى : **(وجعلني مباركا أينما كنت)**[٤] قال ابن جرير : "اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ،

---

(١) سورة القصص ، الآيتان : ٢٣، ٢٤

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د ت ، ج ٤ ص ٥٥٨

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د ت ، ج ٣ ص ٤٠٥ .

(٤) سورة مريم ، الآية :

فقال بعضهم معناه: وجعلني نفّاعا ، وقال آخرون : كانت بركته : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[١]. وقال الشوكاني : " (وجعلني مباركا أينما كنت) أي : حيثما كنت، والبركة أصلها من بروك البعير والمعنى: جعلني ثابتا في دين الله، وقيل : البركة هي الزيادة والعلو ، فكأنه قال :جعلني في جميع الأشياء زائدا عالياً منجحاً، وقيل : معنى المبارك : النفّاع للعباد، وقيل : المعلم للخير ، وقيل : الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر"[٢].

وقال القرطبي : "(وجعلني مباركا) ، أي : ذا بركات ومنافع في الدين والدعاء إليه ومعلما له ، وجعلني آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأرشد الضال وأنصر المظلوم وأغيث الملهوف"[٣]. وفي هذه الخصال خدمة المجتمع وقضـــاء حوائج المدعوين.

تلك نماذج وصور من قيام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بخدمة المدعوين وقضاء حوائجهم ، وهم قدوة للدعاة، ونور لمن أراد الرشاد ، ولقد كان لنبينا محمد ﷺ القدح المعلى في ذلك على نحو ما سأبينه في المبحث التالي.

---

(١) جامع البيان ، الطبري ،ج ١٦ ص ٨٠

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر ، بيروت ، د ت ، ج ٣ ص ٣٣٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الشعب ، القاهرة ، د ت ، ج ١١ ص ١٠٣.

المبحث الثالث

النبي الخاتم ﷺ وخدمة المجتمع

من المسلم به أن الناس يشرفون بخدمة أولي الفضل، وأي شرف يناله المرء أعظم من خدمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولذلك فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتسابقون على خدمة النبي ﷺ ويفرحون بذلك[١]، ومع ذلك كله فقد كان للنبي ﷺ النصيب الأوفى في خدمة الناس وقضاء حوائجهم، وهو القدوة والأسوة، وهذا الخُـلُق له جذوره الراسخة قبل أن يبعثه الله عز وجل، فالله أعلم حيث يجعل رسالته، وهو سبحانه يخلق ما يشاء ويختار ويصطفي أنبياءه ورسله ، ودلائل قيام النبي ﷺ وسعيه بحوائج المجتمع كثيرة ومتنوعة ، وسأعرض لبعضها من خلال ما يلي:

أولا: قبل بعثته ﷺ:

١ – جُبل رسول الله ﷺ على فعل الخير والمعروف والإحسان قبل البعثة فكان كما قال عنه عمه أبو طالب في قصيدته اللامية المشهورة:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمـــة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشـــم فهم عنده في رحمة وفواضل[٢]

وفي هذين البيتين بعض صفاته ﷺ ومكارم أخلاقه التي هي في حاجات المجتمع ، فقوله : ثمال اليتامى ، الثمال : الملجأ والغياث ، والمُطعِم في الشدة، وقوله : عصمة للأرامل : أي يمنعهم من الضياع والحاجة ، و العاصم : المانع الحامي ، وقوله: يلوذ به الهلاك ، أي : يستتر به الهالكون ويحتمون[٣].

١

(١) يشهد لذلك ما جاء في صلح الحديبية في قول عروة بن مسعود يصف أصحاب النبي ﷺ قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له . رواه البخاري كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم الحديث:٢٥٨١

(٢) انظر : البداية والنهاية، ابن كثير، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٢هـ ، ج ٣ص٥٧ .

(٣) انظر: لسان العرب ، ابن منظور، ج١١ص ٩٤ . ج ٣ ص ٥٠٨ ج ١٢ ص ٤٠٤

٢– وقد هيأ الله عز وجل لنبيه ﷺ حضور مجامع الخير في قريش قبل البعثة ومن ذلك حضوره ﷺ حلف الفضول وهو في العشرين من عمره، حيث تحالفت قريش في دار عبدالله بن جدعان على نصرة المظلوم والتآسي في المعاش[١].

٣ – وفي حديث نزول الوحي عليه ﷺ قالت له خديجة رضي الله عنها بعد أن جاءها وهو يرجف فؤاده: (كلا والله ما يخزيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق)[٢]. فذكّرته بهذه الشمائل التي كان عليها قبل أن يبعثه الله تعالى وهي شمائل وأخلاق جلها في حاجات المجتمع وخدمته. قال الإمام النووي رحمه الله : "وأما صلة الرحم فهي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام، وغير ذلك، وأما الكلّ : فهو بفتح الكاف وأصله : الثقل ومنه قوله تعالى **(وهو كلّ على مولاه)**[٣]، ويدخل في حمل الكل: الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك ، وأما قولها: وتكسب المعدوم ، فهو بفتح التاء هذا هو الصحيح المشهور وروي بالضم فمن رواه بالضم فمعناه تكسب غيرك المال المعدوم أي: تعطيه إياه تبرعا وقيل: معناه تعطى الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق، وأما رواية الفتح فقيل: معناها كمعنى الضم وقيل: معناها تكسب المال المعدوم وتصيب منه ما يعجز غيرك عن تحصيله وكانت العرب تتمادح بكسب المال المعدوم لا سيما قريش وكان النبي ﷺ محظوظا في تجارته وهذا القول ضعيف أو غلط وأي معنى لهذا القول في هذا الموطن إلا أنه يمكن تصحيحه بأن يضم إليه زيادة فيكون معناه تكسب المال العظيم الذي يعجز عنه غيرك ثم تجود به في وجوه الخير وأبواب المكارم كما ذكرت من حمل الكل وصلة الرحم وقرى الضيف والإعانة على نوائب الحق فهذا هو الصواب في هذا الحرف، وأما قولها: وتقرى الضيف، فهو بفتح التاء يعني: تطعم الضيف النازل بك ، وأما قولها : وتعين على

---

(١) انظر : الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، ج ١ ص ١٢٩

(٢) رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ رقم الحديث : ٣
ورواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ رقم الحديث : ١٦٠

(٣) سورة النحل الآية : ٧٦

نوائب الحق فالنوائب : جمع نائبة ، وهى الحادثة والنازلة خيرا أو شرا وإنما قالت : نوائب الحق لأنها تكون في الحق والباطل ، قال العلماء : معنى كلام خديجة رضي الله عنها: أنك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكرم الشمائل وذكرت ضروبا من ذلك وفى هذا دلالة على أن مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء"[١].

٤- ومن جملة ما كان يقوم به ﷺ قبل البعثة في حاجة المجتمع أنه كان ﷺ يحفظ أموال المجتمع المكي، حيث كانت قريش تضع ودائعها عنده، لما عُرف عنه من الأمانة والصدق، ولذلك فعندما هاجر ﷺ إلى المدينة، أقام علياً بن أبي طالب ﷺ ثلاث ليال وأيامها حتى أدّى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لحق رسول الله ﷺ [٢].

ثانيا :بعد مبعثه ﷺ :

أ -هديه ﷺالقولي وترغيبه في خدمة الناس وقضاء حوائجهم ، وشواهد ذلك كثيرة جدا، أذكر طرفا منها فيما يلي :

١- ترغيبه ﷺ في مطلق الإعانة للمسلمين وأن من كان في عون أخيه كان الله في عونه، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه...)[٣] قال الإمام النووي :"وهو حديث عظيم جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب، وفيه فضل قضاء حوائج المسلمين، ونفعهم

---

(1) شرح صحيح مسلم ، النووي ، ج٢ ص ٢٠١، ٢٠٢ ، بتصرف ، وانظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د ت ، ج ١ ص ٥١.

(2) انظر: سنن البيهقي الكبرى ، أحمد بن حسين البيهقي ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ، ١٤١٤ هـ ج٦ ص ٢٨٩ .

(3) رواه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر رقم الحديث : ٢٦٩٨

بما تيسر من علم ، أو مال ، أو معاونة ، أو إشارة بمصلحة ، أو نصيحة ، وغير ذلك " [١].

٢- ترغيبه ﷺ في السعي في حاجات الناس فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة)[٢].

قال العلماء :"قوله : (من كان في حاجة أخيه) أي: في قضائها بالفعل أو بالتسبب"[٣].

وعن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال : (من مشى في حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكافه عشر سنين ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق كل خندق أبعد مما بين الخافقين)[٤].

٣- ترغيبه ﷺ في إعانة المحتاج قال ﷺ : (وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة)[٥] وفي الحديث : إعانة العاجز عن الركوب على دابته ، وهكذا أن تحمل معه على دابته متاعه[٦]. وبوب عليه البخاري باب فضل من حمل متاع صاحبه في السفر[٧].

---

(١) شرح صحيح مسلم ، النووي ، ج ١٧ ص ٢١

(٢) رواه البخاري ، كتاب المظالم ، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ، رقم الحديث : ٢٤٤٢

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، ابن علان الصديقي ، دار الفكر ، بيروت ، د ت ، ج ٢ ص ٣٣

(٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، الهيثمي ، دار الريان للتراث ، القاهرة ١٤٠٧ هـ ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده جيد ج ٨ ص ١٩٢.

(٥) رواه مسلم ، كتاب الزكاة ، باب بيان أن اسم الصدقة يصدق على كل نوع من المعروف ، رقم الحديث : ١٠٠٩

(٦) انظر : طرح التثريب لشرح التقريب ، أبو الفضل العراقي ، ج٢ ص ٢٦٧

(٧) انظر : صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب فضل من حمل متاع صاحبه في السفر ، رقم الحديث : ٢٧٣٤

٤- ترغيبهﷺ في النفع المطلق، وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال : لدغت رجلا منا عقرب ونحن مع رسول الله ﷺ فقال رجل : يا رسول الله أرقيه ، فقال ﷺ : (من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل)[١]. وهذا الحديث عام في كل ما ينتفع به فمن استطاع نفع أخيه المسلم فعليه أن يفعل ذلك.

٥- ترغيبه ﷺ في خدمة الرجل لأصحابه فقد مر النبي ﷺ برجل يعالج طلمة - أي خبزة وهي التي تسميها الناس : الملة - لأصحابه في سفر وقد عرق وآذاه وهج النار فقال ﷺ : (لا يصيبه حر جهنم أبدا) قال أبو عبيد : "والذي يراد من هذا الحديث أنه حمد الرجل على أن خدم أصحابه في السفر يعني أنه خبز لهم"[٢].

٦- ترغيبه ﷺ في السعي على الأرملة والمسكين، قال ﷺ : (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وكالذي يصوم النهار ويقوم الليل)[٣].

٧- ترغيبه ﷺ في الإحسان إلى الأيتام ، وقضاء حوائجهم ، قال ﷺ : (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا) ، وقال بأصبعه السبابة والوسطى[٤].

٨- ترغيبه ﷺ في الإصلاح بين الناس قال ﷺ : (كل يوم تطلع فيه الشمس قال تعدل بين الاثنين صدقة)[٥] وفي الحديث : الترغيب في الإصلاح بين الناس[٦]. وبوب عليه البخاري باب فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم[٧]. وقال النبي ﷺ

---

(١) صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان البستي ، باب ذكر الإخبار عما يستحب للمرء من بذل المجهود في قضاء حوائج المسلمين، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط٢،١٤١٤ هـ ج٢ ص ٢٩٠ رقم ٥٣٢.

(٢) غريب الحديث ، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١٣٩٦هـ ج ٣ ص ٩١ .

(٣) رواه البخاري ، كتاب النفقات ، باب فضل النفقة على الأهل رقم الحديث : ٥٣٥٣

(٤) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب فضل من يعول يتيما ، رقم الحديث : ٦٠٠٥

(٥) رواه مسلم ، كتاب الزكاة ، باب بيان أن اسم الصدقة يصدق على كل نوع من المعروف ، رقم الحديث : ١٠٠٩

(٦) انظر : طرح التثريب لشرح التقريب ، أبو الفضل العراقي ، ج٢ ص ٢٦٧

(٧) انظر : صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم رقم الحديث : ٢٥٦٠

لأبي أيوب ﷺ : (ألا أدلك على صدقة يرضى الله ورسوله موضعها؟) قال : نعم يا رسول الله ، قال : (تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقرب بينهم إذا تباعدوا)[١].

٩- ترغيبه ﷺ في إعانة الأخرق ، عن أبي ذر ﷺ قال : سألت النبي ﷺ أي العمل أفضل ؟ قال : (إيمان بالله وجهاد في سبيله) قلت : فأي الرقاب أفضل ؟ قال : (أغلاها ثمنا وأنفسها عند أهلها) قلت : فإن لم أفعل ، قال : (تعين صانعا أو تصنع لأخرق) قال : فإن لم أفعل ، قال : (تدع الناس من الشر فإنها صدقة تصدق بها على نفسك)[٢].

قال النووي رحمه الله : " الصانع : بالصاد المهملة هذا هو المشهور وروي ضائعا بالمعجمة أي: ذا ضياع من فقر أو عيال ونحوذلك، والأخرق: الذي لا يتقن ما يحاول فعله " [٣].

١٠- ترغيبه ﷺ في البذل وإرشاد الضال ، عن البراء بن عازب ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من منح منيحة لبن أو ورق أو هدى زقاقا كان له مثل عتق رقبة)[٤] .

ومعنى قوله : من منح منيحة ورق: إنما يعني به قرض الدراهم، وقوله: أو هدى زقاقا: يعني به هداية الطريق وهو إرشاد السبيل[٥].

ب- هديهﷺ العملي في خدمة الناس وقضاء حوائجهم ، ومن شواهد ذلك ما يلي :

---

(١) رواه البهقي في شعب الإيمان ، باب الإصلاح بين الناس إذا مرجوا وفسدت ذات بينهم ، ج٧ ص ٤٨٧ رقم : ١١٠٩٤وانظر : دليل الفالحين ، ابن علان ، ج٢ ص ٤١ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الرهن ، باب أي الرقاب أفضل ، رقم الحديث :٢٣٨٢

(٣) رياض الصالحين ، النووي ، ص ٩٢ .

(٤) رواه الترمذي ، أبواب البر والصلة ، باب ما جاء في المنحة،البابي الحلبي القاهرة ١٣٨٢هـ رقم الحديث ١٩٥٧ وصححه الألباني ، صحيح سنن الترمذي ، الألباني ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ ج٢ ص ١٨٦ رقم ١٥٩٥

(٥) انظر: سنن الترمذي ، باب ما جاء في المنحة ، ج٤ ص ٣٤٠ والزقاق بضم الزاي : الطريق ، انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، ج ١٠ ص ١٤٤ .

١-عن جابر بن عبد الله ﷺ قال : ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال : (لا)[١]. وهذا من كمال جوده وسعيه في حوائج الناس بنفسه وماله وبكل ما يمكنه ، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "كان ﷺ أعظم الناس صدقة بما ملكت يده وكان لا يستكثر شيئا أعطاه لله تعالى ولا يستقله وكان لا يسأله أحد شيئا عنده إلا أعطاه قليلا كان أو كثيرا، وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسلة وكان إذا اعترض له محتاج آثره على نفسه تارة بطعامه وتارة بلباسه وتارة بالصدقة وتارة بالهدية وتارة بشراء الشيء ثم يعطي البائع الثمن والسلعة جميعا، كما فعل بجابر وتارة كان يقترض الشيء فيرد أكثر منه وأفضل وأكبر، ويشتري فيعطي أكثر من ثمنه ويقبل الهدية ويكافيء عليها بأكثر منها أو بأضعافها، تلطفا وتنوعا في ضروب الصدقة والإحسان بكل ممكن وكانت صدقته وإحسانه بما يملكه وبحاله وبقوله فيخرج ما عنده ويأمر بالصدقة ويحض عليها ويدعو إليها بحاله وقوله فإذا رآه البخيل الشحيح دعاه حاله إلى البذل والعطاء وكان من خالطه وصحبه ورأى هديه لا يملك نفسه من السماحة والندى " [٢].

٢-وكان ﷺ يقوم على حاجة الأرامل والمساكين ، وكان ﷺ لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي حاجته [٣] . فعن أنس بن مالك ﷺ قال : كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت [٤] . وعنه ﷺ أن امرأة كان في عقلها شيء فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجة، فقال : (يا أم فلان انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك) فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها[٥] .

---

(١) رواه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال : لا وكثرة عطائه ، رقم الحديث :٢٣١١

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن قيم الجوزية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١٤، ١٤٠٧هـ ج ٢ ص ٢٢

(٣) شعب الإيمان ، البيهقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١ ، ١٤١٠هـ، ج ٦ص٢٦٩

(٤) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب الكبر، رقم الحديث : ٦٠٧٢

(٥) رواه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب قرب النبي عليه السلام من الناس وتبركهم به رقم الحديث : ٢٣٢٦

٣- وكان رسول الله ﷺ يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويقويه ويقبح القبيح ويوهنه[١]. وكان الصحابة رضي الله عنهم يؤمون رسول الله ﷺ لقضاء حوائجهم ، فعن حصين بن محصن عن عمة له أنها أتت رسول الله ﷺ تطلب حاجة فلما قضت حاجتها قال : (ألك زوج ؟) قالت : نعم ، قال: (فأين أنت منه ؟) قالت : ما آلوه خيرا إلا ما عجزت عنه ،قال: (انظري فإنه جنتك ونارك)[٢].

٤- وكان من هديه ﷺ في بيته أن يكون في خدمة أهله : فعن الأسود قال : سألت عائشة رضي الله عنها ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته ؟ قالت : كان يكون في مهنة أهله تعني: خدمة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة [٣].

ومعنى : (في مهنة أهله) المهنة بكسر الميم وبفتحها، يعني : في خدمة أهله[٤]. قال الحافظ ابن حجر : "وقد وقع في حديث آخر لعائشة أخرجه أحمد وابن سعد وصححه ابن حبان من رواية هشام بن عروة عن أبيه قلت لعائشة : ما كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته ؟ قالت : يخيط ثوبه ، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم، وفي رواية لابن حبان : ما يعمل أحدكم في بيته، وله ولأحمد من رواية الزهري عن عروة عن عائشة : يخصف نعله ويخيط ثوبه ، ويرقع دلوه، وفي لفظ : ما كان إلا بشرا من البشر، كان يفلي ثوبه ، ويحلب شاته، ويخدم نفسه، قال ابن بطال : من أخلاق الأنبياء التواضع والبعد عن التنعم وامتهان النفس، ليستن بهم، ولئلا يخلدوا إلى الرفاهية المذمومة " [٥]. وفي الحديث : أن الأئمة والعلماء يتناولون خدمة

---

(١) من حديث ابن أبي هالة في الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، دار بيروت ، بيروت ، ط ١٤٠٥هـ ج ١ ، ص ٤٢٤

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف في الأحاديث والآثار ، الدار السلفية ، الهند ، ط١ ، ١٤٠٠هـ ج٣ ص ٥٥٧ ورواه الحاكم في المستدرك ، وقال : هو صحيح ولم يخرجاه . دار الكتب العلمية، بيروت ،ط ١ ، ١٤١١هـ ، ج ٢ ص ٢٠٦ رقم الحديث : ٢٧٦٩

(٣) رواه البخاري ، كتاب الصلاة ، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج رقم الحديث: ٦٤٤ وفي كتاب النفقات باب خدمة الرجل أهله ، رقم الحديث : ٥٠٤٨

(٤) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر ، ج١٠ ص ٤٦١

(٥) فتح الباري ، ابن حجر ، ج ١٠ ص ٤٦١ والأحاديث في المسند للإمام أحمد ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٥ ، ١٤٠٥هـ ج ٦ ص ١٢١، ٢٥٦

أمورهم بأنفسهم وأن ذلك من فعل الصالحين[١]. إن خدمة الرجل أهله من أخلاق الأنبياء عليهم السلام ، وفي قصة موسى عليه السلام ما يشير إلى ذلك، قال تعالى : (فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى)[٢].

٥- وعن جابر ﷺ قال:كان رسول الله ﷺ يتخلف في المسير فيزجي الضعيف ويردف ويدعو لهم [٣] . قال الإمام ابن القيم رحمه الله : " وكان ﷺ يتخلف في ساقتهم في المسير فيزجي الضعيف ويردف المنقطع وكان أرفق الناس بهم في المسير"[٤]. وقال الإمام السيوطي رحمه الله : " كان يتخلف أي يتأخر في المسير أي في السفر فيزجي – بمثناة تحتية مضمومة وزاي معجمة فجيم – الضعيف أي : يسوقه ليلحقه بالرفاق ويردف نحو العاجز على ظهر الدابة أي : دابته أو دابة غيره ، ويدعو لهم بالإعانة ونحوها ونبه به على أدب أمير الجيش وهو الرفق بالسير بحيث يقدر عليه أضعفهم ويحفظ به قوة أقواهم وأن يتفقد خيلهم وحمولهم ويراعي أحوالهم ويعين عاجزهم ويحمل ضعيفهم ومنقطعهم ويسعفهم بماله وحاله وقاله ودعائه ومدده وإمداده " [٥]. قال العلماء : ولذلك يستحب لكبير الركب أن يسير في آخره ، وإلا فيتعهد آخره فيحمل المنقطع أو يعينه[٦].

٦- وكان ﷺ يقوم بالشفاعة عند الحاجة ، فعن ابن عباس ﷺ قال : كان زوج بريرة عبدا أسود يقال له : مغيث كأني أنظر إليه يطوف خلفها في سكك المدينة يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال النبي ﷺ للعباس : يا عباس ألا تعجب من حب مغيث

---

(١)انظر : طرح التثريب في شرح التقريب ،زين الدين عبدالرحيم العراقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د ت ، ج٨ ص ١٧٤.

(٢) سورة طه ، الآية : ١٠

(٣) رواه أبوداود كتاب الجهاد ، باب في لزوم الساقة، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د ت ، رقم الحديث : ٢٦٣٩ قال النووي : رواه أبو داود بإسناد حسن انظر : المجموع شرح المهذب ، النووي ، ج ٤ ص ٣٣٥

(٤) زاد المعاد ، ابن القيم ، ج ٣ ص ٩٦

(٥) الشمائل الشريفة ، جلال الدين السيوطي، دار طائر العلم للنشر والتوزيع، د ت ، ج١ ص ٢٧٩

(٦) انظر : المجموع شرح المهذب ، النووي ، ج٤ ص ٣٣٤

بريرة ومن بغض بريرة مغيثا ؟ فقال النبي ﷺ لبريرة : (لو راجعته) فقالت : تأمرني ؟ قال : (إنما أشفع) قالت : لا حاجة لي فيه[١].

٧- وكان ﷺ يتعاهد بيوت أصحابه عند غيابهم : عن ابنة خباب بن الأرت ﷺ قالت: خرج أبي في غزاة في عهد رسول الله ﷺ فكان رسول الله ﷺ يتعاهدنا فيحلب ، عنـزا لنا فكان يحلبها في جفنة لنا فتمتلىء ، فلما قدم خباب عاد حلابها كما كان [٢].

٨- وكان يعود المرضى ويتفقدهم فمن ذلك :

- عيادته ﷺ لسعد بن عبادة ﷺ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : اشتكى سعد ابن عبادة شكوى له فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله فقال : (قد قضى) قالوا : لا يا رسول الله، فبكى النبي ﷺ فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا فقال : (ألا تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا – وأشار إلى لسانه – أو يرحم ، وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه)[٣] .

-وعاد سعد بن أبي وقاص ﷺ فعن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت : إني قد بلغ بي من الوجع وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة أفأتصدق بثلثي مالي ؟ قال : (لا) فقلت : بالشطر ، فقال : (لا) ثم قال : (الثلث والثلث كبير أو كثير إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل في في امرأتك) فقلت : يا رسول الله أخلف بعد أصحابي قال : (إنك لن تخلف فتعمل عملا صالحا إلا ازددت به درجة ورفعة ، ثم لعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون اللهم، أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم لكن البائس سعد بن خولة) يرثي له رسول الله ﷺ أن مات بمكة [٤] .

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الطلاق ، باب شفاعة النبي ﷺ في زوج بريرة ، رقم الحديث : ٥٢٨٣

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ج ٦ص٣٢٢ وانظر: دليل الفالحين ، ابن علان ، ج ٢ ص ٣٥

(٣) رواه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب البكاء عند المريض ، رقم الحديث : ١٣٠٤

(٤) رواه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة ﷺ رقم الحديث : ١٢٩٥

وفي عيادته ﷺ لسعد بن عبادة ﷺ كمال فضله وعيادته لأصحابه مع علو مرتبته [١] .

- وكان ﷺ يعود الصبيان والأعراب وعاد مشركا فدعاه إلى الإسلام فأسلم[٢].

- وكان يعود النساء، فعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن مسكينة مرضت فأخبر النبي ﷺ بمرضها ، وكان رسول الله ﷺ يعود المرضى -وفي رواية: يعود المساكين- ويسأل عنهم فقال رسول الله ﷺ : (إذا ماتت فآذنوني بها) فخرج بجنازتها ليلا فكرهوا أن يوقظوا رسول الله ﷺ فلما أصبح رسول الله ﷺ أخبر بالذي كان من شأنها فقال: (ألم آمركم أن تؤذنوني بها) فقالوا : يا رسول الله كرهنا أن نوقظك ليلا ، فخرج رسول الله ﷺ حتى صف بالناس على قبرها، وكبر أربع تكبيرات[٣].

- وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب أو المسيب ، فقال : (مالك يا أم السائب - أو يا أم المسيب - تزفزفين ؟) قالت : الحمى لا بارك الله فيها ، قال : (لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد) [٤].

٩- وكان ﷺ يحب أن يتم حاجة من يقضي له حاجة حتى يفرغ لغيرها، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: كان رسول الله ﷺرحيما وكان لا يأتيه أحد إلا وعده وأنجز له إن كان عنده وأقيمت الصلاة وجاءه أعرابي فأخذ بثوبه فقال : إنما بقي من حاجتي يسيرة، وأخاف أنساها ، فقام معه حتى فرغ من حاجته ثم أقبل فصلى[٥].

---

(١) دليل الفالحين ، ابن علان الصديقي ، ج ٤ ص٥٠٦

(٢) الأحاديث في صحيح البخاري ، كتاب المرضى باب عيادة الصبيان وباب عيادة الأعراب وباب عيادة المشرك برقم : ٥٦٥٥ و ٥٦٥٦ و ٥٦٥٧ .

(٣) رواه مالك في الموطأ ، دار إحياء التراث العربي، مصر ، د ت ، ج ١ ص٢٢٧ ومسند الشافعي دار الكتب العلمية ، بيروت ، د ت ، ص ٣٥٨ وأصل الحديث في الصحيحين! . انظر : صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب الخدم للمسجد وقال ابن عباس : (نذرت لك ما في بطني محررا) للمسجد يخدمه، رقم الحديث ٤٤٨.

(٤) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها رقم الحديث : ٢٥٧٥ ومعنى تزفزفين أي تتحركين حركة سريعة ومعناه ترتعد . انظر : دليل الفالحين ، ابن علان الصديقي ، ج ٤ ص ٥٥٦ .

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد باب سخاوة النفس ، رقم ٢١٢ ، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ، الألباني ،ص ١٢٠.

١٠- وكان ﷺ يسعى في الإصلاح بين الناس فمن ذلك ما رواه البخاري عن سهل بن سعد ﷺ أن أناسا من بني عمرو بن عوف كان بينهم شيء فخرج إليهم النبي ﷺ في أناس من أصحابه يصلح بينهم فحضرت الصلاة ولم يأت النبي ﷺ فجاء بلال فأذن بلال بالصلاة ولم يأت النبي ﷺ فجاء إلى أبي بكر فقال : إن النبي ﷺ حبس وقد حضرت الصلاة فهل لك أن تؤم الناس؟ فقال: نعم إن شئت ... الحديث [١] .

١١- وكان ﷺ يعين الفقير والمسكين على صنعة تكفيه حاجته وتمنعه من سؤال الناس ، فعن أنس بن مالك أن رجلا من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله فقال : (أما في بيتك شيء ؟) قال : بلى حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه من الماء، قال : (ائتني بهما) فأتاه بهما فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال : (من يشتري هذين) قال رجل : أنا آخذهما بدرهم، قال : (من يزيد على درهم) مرتين أو ثلاثا ، قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري، وقال : (اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدوما فأتني به) فأتاه به فشد فيه رسول الله ﷺ عودا بيده ثم قال له : (اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما) فذهب الرجل يحتطب ويبيع فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما فقال رسول الله ﷺ : (هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة) [٢].

١٢- وكان ﷺ يعزز القيام بالخدمة وقضاء الحوائج ، فعن أنس ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ في السفر فمنا الصائم ومنا المفطر قال : فنـــزلنا منـــزلا في يوم حار أكثرنا ظلا صاحب الكساء ومنا من يتقي الشمس بيده قال : فسقط الصوام وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب فقال رسول الله ﷺ : (ذهب المفطرون اليوم بالأجر) [٣].

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الصلح ، باب ما جاء في الإصلاح بين الناس وقول الله تعالى : (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما) وخروج الإمام إلى المواضع ليصلح بين الناس بأصحابه رقم الحديث :٢٥٤٤

(٢) رواه أبوداود ، كتاب الزكاة، باب ما تجوز فيه المسألة ، رقم الحديث : ١٦٤١

(٣) رواه مسلم ،كتاب الصيام ، باب أجر المفطر في السفر إذا تولى العمل، دار ابن حزم ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ، رقم الحديث : ١١١٩

وعن أبي قلابة ﷺ أن ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ قدموا يثنون على صاحب لهم خيرا قالوا : ما رأينا مثل فلان قط ما كان في مسير إلا كان في قراءة ولا كان في منـــزل إلا كان في صلاة ، قال : (فمن كان يكفيه صنعته) حتى ذكر : (ومن كان يعلف جمله أو دابته) قالوا : نحن ، قال : (فكلكم خير منه)[1].

وأكتفي بما ذكرت هنا من الشواهد على ما كان عليه النبي ﷺ من معاملة للخلق بما يجعل من قيام الداعية بخدمة مجتمعه والسعي في حاجاته في مقدمة اهتماماته. إذ هو سبيل إلى قلوب المدعوين،وهكذا ينبغي أن يسير على منهجه ومسلكه كل الدعاة الذين يريدون نجاحا لدعوتهم ، وقبولا لهم عند الآخرين، ولقد كان للصحابة رضي الله عنهم والتابعين اهتمام ظاهر بذلك وحفظت لنا كتب التاريخ والسير كثيرا من الشواهد على ذلك على نحو ما سأبينه في المبحث التالي .

---

(١) المراسيل ، سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود ، باب في فضل الجهاد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط رقم الحديث : ٣٠٦

المبحث الرابع
مظاهر خدمة المجتمع في حياة الصحابة والتابعين

اقتفى الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم التابعون هدي النبي ﷺ في خدمة الناس وقضاء حوائجهم ، ولم يكن رسول الله ﷺ يهدي أصحابه بقوله وفعله إلى السعي في خدمة الناس والبذل لهم وحسب ، بل كان ﷺ يربيهم على الاستغناء التام عن الناس، فعن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ قال : كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال : (ألا تبايعون رسول الله؟) وكنّا حديثي عهد ببيعة فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال : (ألا تبايعون رسول الله ؟) فقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ، ثم قال : (ألا تبايعون رسول الله ؟) قال : فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، فعلام نبايعك ؟ قال : (على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والصلوات الخمس وتطيعوا – وأسر كلمة خفية – ولا تسألوا الناس شيئا) فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله إياه[1]. قال ابن أبي مليكة : ربما سقط الخطام من يد أبي بكر الصديق ﷺ فيضرب بذراع ناقته فينيخها فيأخذه فقالوا له : ألا أمرتنا فنناولكه؟، فقال : (إن حبيبي رسول الله ﷺ أمرني أن لا أسأل أحدا شيئا)[2]. وسأعرض هنا لنماذج من سعي الصحابة رضي الله عنهم في حاجات المجتمع وتنافسهم في ذلك من خلال ما يلي مبتدئا بالخلفاء الراشدين رضي الله عنهم :

١- أبو بكر الصديق ﷺ : خير الأمة بعد نبيها ﷺ كان مثالا يحتذى في فعل الخيرات وأصناف المعروف ، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : "كان صديقاً تقياً كريماً جواداً بذالاً لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسول الله ﷺ فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل ولهذا قال له عروة بن مسعود ﷺ وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية: أما والله لولا يد لك عندي لم أجزك بها

---

(١) رواه مسلم ، كتاب الزكاة ، باب كراهة المسألة للناس ، رقم الحديث : ١٠٤٣

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ، ج ١ ، ص ١١ . وهو حسن لغيره ، انظر المسند بتحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ، ج١ ص ٢٢٨

لأجبتك، وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم"[١].

وكان ﷺ ممن جُبل على فعل الخير والإحسان حتى عرف بذلك قبل إسلامه وفي حديث هجرته إلى الحبشة ما يبين ذلك قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا قبل الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة[٢]، فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأنا أريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي ، قال ابن الدغنة : إن مثلك لا يخرج ولا يخرج فإنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، وأنا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلادك فارتحل ابن الدغنة فرجع مع أبي بكر فطاف في أشراف كفار قريش فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج ، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم، ويصل الرحم ، ويحمل الكل ، ويقري الضيف ، ويعين على نوائب الحق ؟ فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة وآمنوا أبا بكر[٣]. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : " وفي موافقة وصف ابن الدغنة لأبي بكر بمثل ما وصفت به خديجة رضي الله عنها رسول الله ﷺ ما يدل على عظيم فضل أبي بكر واتصافه بالصفات البالغة في أنواع الكمال "[٤]. وفي هذه الصفات من خدمة المجتمع وقضاء حوائج الناس ما لا يخفى وقد لازم ﷺ هذه الخصال بعد إسلامه بل بعد توليه الخلافة، وقد كان ﷺ يحلب للحي أغنامهم فلما استخلف قيل: الآن لا تحلبها، قال: بلى وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن شيء كنت أفعله[٥] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج ٤ ص ٥٢٢

(٢) برك الغماد بفتح الباء وكسر الغين موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن ، وابن الدغنة بضم الدال والغين وتشديد النون والقارة قبيلة مشهورة ، انظر : فتح الباري ، ابن حجر ، ج ٧ ص ٢٣٢

(٣) رواه البخاري ، كتاب الكفالة ، باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده رقم الحديث :٢٢٩٧

(٤) فتح الباري ، ابن حجر ، ج ٧ ص ٢٣٣

(٥) انظر : صفة الصفوة، ابن الجوزي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ، ج١ ص ١٣٤ ، ودليل الفالحين ، ابن علان ،ج٢ ص ٣٥ .

وفي الطبقات الكبرى لابن سعد: كان يحلب للحي أغنامهم فلما بويع له بالخلافة قالت جارية من الحي : الآن لا تحلب لنا منائح دارنا، فسمعها أبو بكر فقال : بلى لعمري لأحلبنها لكم ، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه ، فكان يحلب لهم، فربما قال للجارية من الحي : يا جارية أتحبين أن أرغي لك أو أصرح ، فربما قالت : أرغ وربما قالت: صرح ، فأي ذلك قالت فعل[١].

إنه الصديق خير أصحاب رسول الله ﷺ ، بذل وعطاء في كل موطن وعلى أي حال .

٢- أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ : كان ﷺ يسعى في حوائج الناس ، ويصور ذلك وصف العباس ﷺ له حيث قال : " كنت جارا لعمر بن الخطاب فما رأيت أحدا من الناس كان أفضل من عمر إن ليله صلاة وإن نهاره صيام وفي حاجات الناس "[٢].

وكان يخدم كبار السن ويقضي حاجاتهم، فقد خرج ﷺ في سواد الليل فرآه طلحة بن عبيد الله ﷺ فذهب عمر فدخل بيتا ثم دخل بيتا آخر فلما أصبح طلحة ذهب إلى البيت فإذا عجوز مقعدة فقال لها : ما بال هذا الرجل يأتيك ؟ قالت : إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا ويأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى ، فقال : ثكلتك أمك يا طلحة أعثرات عمر تتبع[٣]. كما كان عمر ﷺ يتعهد الأرامل فيستقي لهن الماء في الليل[٤].

---

(١) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، ج ٣ ص١٨٦ ، ورغى اللبن وأرغى ورغى : صارت له رغوة ، انظر : القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، ج ٢ ص ٣٦٣ . قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : إنما كانوا يقومون بالحلاب لأن العرب كانت لا تحلب النساء منهم وكانوا يستقبحون ذلك وكان الرجال إذا غابوا احتاج النساء إلى من يحلب لهن . انظر : جامع العلوم والحكم ، ابن رجب ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٧ ، ١٤١٧هـ ص ٥١١ قال : وروي لا تسقوني حليب امرأة وسنده ضعيف .

(٢) حلية الأولياء ، أبو نعيم الأصبهاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٥ ، ١٤٠٧هـ، ج ١ ، ص ٥٤.

(٣) انظر :حلية الأولياء ، أبو نعيم الأصبهاني ، ج ١ ص ٤٨ ودليل الفالحين، ابن علان ، ج ٢ ص ٣٥ .

(٤) انظر : دليل الفالحين ، ابن علان ، ج ٢ ص ٣٥ . وانظر : محاسن الدين بشرح الأربعين ، فيصل المبارك ، دار إشبيليا ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ ، ص ١١٤.

وكانوا يبتدرون البذل قبل المسألة قال عبيد الله بن عباس﵁ لأخيه: "إن أفضل العطية ما أعطيت الرجل قبل المسألة فإذا سألك فإنما تعطيه ثمن وجهه حين بذله إليك"[١]. وقال عبدالله بن جعفر﵁ : "ليس الجواد الذى يعطيك بعد المسألة، ولكن الجواد الذى يبتدىء ؛ لأن ما يبذله إليك من وجهه أشد عليه مما يعطى عليه "[٢].

ب- أنهم كانوا يقومون بالخدمة بأنفسهم :

قال مجاهد : صحبت ابن عمر ﵁ في السفر لأخدمه فكان يخدمني ، وكان كثير من الصالحين يشترط على أصحابه أن يخدمهم في السفر[٣].

ودخل رجل على سلمان الفارسي ﵁ وهو يعجن فقال : ما هذا ؟ قال : بعثنا الخادم في عمل فكرهنا أن نجمع عليه عملين[٤]. واشترى رجل شيئا فمر بسلمان وهو أمير المدائن فلم يعرفه فقال : احمل هذا معي يا علج ، فحمله وكان من يتلقاه يقول : ادفعه إلي أيها الأمير ، فيقول : لا والله لا يحمله إلا العلج ، والرجل يعتذر إليه ويسأله أن يرده عليه، وهو يأبى حتى حمله إلى مقره [٥].

ج- أنهم كانوا يصنعون الطعام للمحتاج ويكرمون الأيتام والأرامل والمساكين :

فكان عبد الله بن عمر ﵁ لا يأكل طعاما إلا وعلى خوانه يتيم[٦].

وكان لأبي برزة الأسلمي ﵁ جفنة من ثريد غدوة ، وجفنة عشية؛ للأرامل والمساكين [٧].

---

(١) قضاء الحوائج ، ابن أبي الدنيا ، ص ٤٩

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٠

(٣) انظر : جامع العلوم والحكم ، ابن رجب الحنبلي، ص ٥١١ .

(٤) صفة الصفوة ، ابن الجوزي ، ج ٢ ص ٢٧٨

(٥) انظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الأصفهاني، دار القلم ، بيروت ، ١٤٢٠هـ، ج ١ ص ٣٢٣

(٦) رواه البخاري في الأدب المفرد ، باب فضل من يعول يتيما ، رقم الحديث ١٠٢ وقال الألباني : صحيح الإسناد . انظر : صحيح الأدب المفرد ، دار الصديق ،الجبيل ، ط ٢ ، ١٤١٥ هـ ص ٧٥.

(٧) انظر : سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج٣ ص ٤٠

وكانوا يعيرون أواني الطعام ولا يمنعونها بل يبعثون بها ملأى بالطعام ، وعندما أرسل الأشعث بن قيس إلى عدي بن حاتم ﵁ يستعير منه أواني أبيه ملأها طعاما وأرسل بها إليه ، فقال له : إنما طلبت منك الأواني فارغة، فقال له : إنا قوم لا تخرج أوعيتنا فارغة [١].

وما سبق من الشواهد والآثار يتبين فيها اتصاف صحب رسول الله ﷺ الكرام بحال الأبرار الذين ذكرهم الله في كتابه بقوله : (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) [٢].

٦ – وكان للتابعين[٣] اقتداء بمن سبقهم يتنافسون على الخير ويسعون لقضاء حوائج الناس وأعرض لذلك من خلال ما يلي :

أ- ما روي عنهم في الترغيب في خدمة الناس وقضاء حوائجهم:

– قال الحسن البصري (ت ١١٠هـ) : " لقضاء حاجة أخ لي في الله أحب إلي من اعتكاف شهر" [٤].

– عن الحسن : " لأن أقضي لمسلم حاجة أحب إليّ من أن أصليّ ألف ركعة ". وقال : " لأن أقضي لأخ حاجة أحب إليّ من أن أعتكف شهرين " [٥].

– عن ميمون بن مهران(١١٧هـ) : " المروءة : طلاقة الوجه والتودد إلى الناس وقضاء الحوائج " [٦].

---

(١) مراقي الجنان ، المقدسي ، ص ٢٢٩

(٢) سورة الإنسان ، الآيتان : ٧-٨

(٣) رأى الباحث مناسبة ذكر سنة الوفاة هنا لأن الحديث هنا يتعلق بعصر معين.وقد رتبت الآثار والشواهد بحسب تاريخ الوفاة .

(٤) تهذيب تاريخ دمشق ، ابن عساكر ، ج ٤ ص ٢١٨

(٥) قضاء الحوائج ، ابن أبي الدنيا ، ص ٤٨

(٦) تهذيب الكمال ، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١، ١٤٠٠ هـ ، تحقيق : بشار عواد معروف ، ج ٢٩ ص٢٢٢، وتاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥م ، تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري ، ج ٦١ ص ٣٦٣

وكانوا يبتدرون البذل قبل المسألة قال عبيد الله بن عباس﵁ لأخيه: "إن أفضل العطية ما أعطيت الرجل قبل المسألة فإذا سألك فإنما تعطيه ثمن وجهه حين بذله إليك"[١]. وقال عبدالله بن جعفر﵁ : "ليس الجواد الذى يعطيك بعد المسألة، ولكن الجواد الذى يبتدىء ؛ لأن ما يبذله إليك من وجهه أشد عليه مما يعطى عليه "[٢].

ب- أنهم كانوا يقومون بالخدمة بأنفسهم :

قال مجاهد : صحبت ابن عمر ﵁ في السفر لأخدمه فكان يخدمني ، وكان كثير من الصالحين يشترط على أصحابه أن يخدمهم في السفر[٣].

ودخل رجل على سلمان الفارسي ﵁ وهو يعجن فقال : ما هذا ؟ قال : بعثنا الخادم في عمل فكرهنا أن نجمع عليه عملين[٤]. واشترى رجل شيئا فمر بسلمان وهو أمير المدائن فلم يعرفه فقال : احمل هذا معي يا علج ، فحمله وكان من يتلقاه يقول : ادفعه إلي أيها الأمير ، فيقول : لا والله لا يحمله إلا العلج ، والرجل يعتذر إليه ويسأله أن يرده عليه، وهو يأبى حتى حمله إلى مقره [٥].

ج- أنهم كانوا يصنعون الطعام للمحتاج ويكرمون الأيتام والأرامل والمساكين :

فكان عبد الله بن عمر ﵁ لا يأكل طعاما إلا وعلى خوانه يتيم[٦].

وكان لأبي برزة الأسلمي ﵁ جفنة من ثريد غدوة ، وجفنة عشية؛ للأرامل والمساكين [٧].

---

(١) قضاء الحوائج ، ابن أبي الدنيا ، ص ٤٩

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٠

(٣) انظر : جامع العلوم والحكم ، ابن رجب الحنبلي، ص ٥١١ .

(٤) صفة الصفوة ، ابن الجوزي ، ج ٢ ص ٢٧٨

(٥) انظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الأصفهاني، دار القلم ، بيروت ، ١٤٢٠هـ، ج ١ ص ٣٢٣

(٦) رواه البخاري في الأدب المفرد ، باب فضل من يعول يتيما ، رقم الحديث ١٠٢ وقال الألباني : صحيح الإسناد . انظر : صحيح الأدب المفرد ، دار الصديق ،الجبيل ، ط ٢ ، ١٤١٥ هـ ص ٧٥.

(٧) انظر : سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج٣ ص ٤٠

وكانوا يعيرون أواني الطعام ولا يمنعونها بل يبعثون بها ملأى بالطعام ، وعندما أرسل الأشعث بن قيس إلى عدي بن حاتم ﵁ يستعير منه أواني أبيه ملأها طعاما وأرسل بها إليه ، فقال له : إنما طلبت منك الأواني فارغة، فقال له : إنا قوم لا تخرج أوعيتنا فارغة [١].

وما سبق من الشواهد والآثار يتبين فيها اتصاف صحب رسول الله ﷺ الكرام بحال الأبرار الذين ذكرهم الله في كتابه بقوله : (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) [٢].

٦ – وكان للتابعين[٣] اقتداء بمن سبقهم يتنافسون على الخير ويسعون لقضاء حوائج الناس وأعرض لذلك من خلال ما يلي :

أ- ما روي عنهم في الترغيب في خدمة الناس وقضاء حوائجهم:

– قال الحسن البصري (ت ١١٠هـ) : " لقضاء حاجة أخ لي في الله أحب إلي من اعتكاف شهر" [٤].

– عن الحسن : " لأن أقضي لمسلم حاجة أحب إليّ من أن أصليّ ألف ركعة ". وقال : " لأن أقضي لأخ حاجة أحب إليّ من أن أعتكف شهرين " [٥].

– عن ميمون بن مهران(١١٧هـ) : " المروءة : طلاقة الوجه والتودد إلى الناس وقضاء الحوائج " [٦].

---

(١) مراقي الجنان ، المقدسي ، ص ٢٢٩

(٢) سورة الإنسان ، الآيتان : ٧-٨

(٣) رأى الباحث مناسبة ذكر سنة الوفاة هنا لأن الحديث هنا يتعلق بعصر معين.وقد رتبت الآثار والشواهد بحسب تاريخ الوفاة .

(٤) تهذيب تاريخ دمشق ، ابن عساكر ، ج ٤ ص ٢١٨

(٥) قضاء الحوائج ، ابن أبي الدنيا ، ص ٤٨

(٦) تهذيب الكمال ، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١، ١٤٠٠ هـ ، تحقيق : بشار عواد معروف ، ج ٢٩ ص٢٢٢، وتاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥م ، تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري ، ج ٦١ ص ٣٦٣

- قال محمد بن واسع (ت : ١٢٣هـ) : " ما رددت أحدا عن حاجة أقدر على قضائها ولو كان فيها ذهاب مالي "[١].

- قيل لمحمد بن المنكدر(ت : ١٣٠هـ) : أي الدنيا أحب إليك ؟ قال : الإفضال على الإخوان . وقيل له أيضا : ما بقي من لذتك ؟ قال : لقاء الإخوان وإدخال السرور عليهم[٢]، وقيل له : أيُّ الدنيا أعجب إليك ؟ قال : إدخال السرور على المؤمن[٣].

- وكانوا يتواصون بتعجيل المعروف ، فعن جعفر الصادق(ت : ١٤٨هـ) قال : لا يتم المعروف إلا بثلاثة : بتعجيله وتصغيره وستره[٤]. وروي ذلك عن سفيان الثوري (ت : ١٦١هـ) أيضا : لا يتم المعروف إلا بتعجيله وتصغيره وستره[٥].

- وقال أبو إسحاق الفزاري (ت : ١٨٨هـ) : إن للحوائج فرسانا كفرسان الحرب [٦].

ب – ما روي عنهم في قيامهم بخدمة الناس وقضاء حوائجهم فمن هؤلاء :

- أبو وائل شقيق بن سلمة (ت : ٨٢هـ) : كان يطوف على نساء الحي وعجائزهن كل يوم فيشتري لهن حوائجهن وما يصلحهن [٧].

- علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت ٩٤هـ) : زين العابدين ، كان يحمل الخبز بالليل على ظهره يتبع به المساكين في الظلمة ويقول إن الصدقة في سواد الليل تطفئ غضب الرب [٨].

وكان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتون بالليل [٩].

---

(١) قضاء الحوائج ، ابن أبي الدنيا ، ص ٦٤
(٢) انظر: حلية الأولياء ،الأصبهاني ج ٣ ص ١٤٩
(٣) انظر : قضاء الحوائج ، ابن أبي الدنيا ، ص ٤٤
(٤) انظر : سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج٦ ص ٢٥٥
(٥) حلية الأولياء ، الأصبهاني ، ج٣ ص ١٩٨
(٦) تهذيب تاريخ دمشق ، ابن عساكر ، ج ٢ ٢٥٨
(٧) انظر : جامع العلوم والحكم ، ابن رجب ،ص ٣٤١
(٨) انظر : سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج٣ ص ٣٨٦
(٩) انظر : المصدر السابق ، ج٣ ص ٣٨٦

ولما مات زين العابدين وجدوا بظهره أثرا مما كان ينقل الجرب بالليل إلى منازل الأرامل، ووجدوه يعول مئة أهل بيت [١].

- الحسن البصري :كان الحسن إذا فقد الرجل من إخوانه أتى منزله فإن كان غائبا وصل أهله وعياله وإن كان شاهدا سأله عن أمره وحاله ثم دعا بعض ولده من الأصاغر فأعطاهم الدراهم ووهب لهم وقال أبا فلان إن الصبيان يفرحون بهذا [٢].

-حماد بن أبي سليمان (ت :١١٠هـ) فقيه الكوفة : كان يفطّر في كل ليلة من شهر رمضان خمسين إنسانا فإذا كان ليلة الفطر كساهم ثوبا ثوبا [٣].

- طلحة بن مصرف (ت : ١١٢هـ) : عن الصلت بن بسطام التيمي عن أبيه قال : رأيت طلحة بن مصرف يخرج من زقاق ضيق في التيم فقلت : من أين يجيء طلحة ؟ قالوا : يأتي أم عمارة بن عمير يبرها بالنفقة والكسوة والصلة ، قال : وذاك بعد موت عمارة ببضع عشرة سنة ، قال : وكانت أم عمارة أعجمية [٤].

- زبيد بن الحارث اليامي (ت : ١٢٢هـ) : كان إذا كانت ليلة مطيرة أضاء بشعلة من نار فطاف على عجائز الحي فقال : أوكف عليكم البيت، أتريدون نارا؟ فإذا أصبح طاف على عجائز الحي ويقول : ألكم في السوق حاجة أتريدون شيئا ؟ [٥].

وكان زبيد مؤذن مسجده فكان يقول للصبيان : يا صبيان تعالوا فصلوا أهب لكم الجوز، قال : فكانوا يجيئون ويصلون ثم يحوطون حوله فقلنا له : ما تصنع بهذا ؟ قال : وما علي أشتري لهم جوزا بخمسة دراهم ويتعودون الصلاة [٦].

- ثابت البناني (ت : ١٢٣هـ) : بعث الحسن البصري قوما من أصحابه في قضاء حاجة لرجل وقال لهم : مروا بثابت البناني فخذوه معكم فأتوا ثابتا فقال : أنا

---

(١) انظر : حلية الأولياء ، الاصبهاني ، ج ٣ ص ١٣٦. وسير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج٣ ص ٣٨٦
(٢) انظر : مكارم الأخلاق ، ابن أبي الدنيا ، مكتبة الساعي ، الرياض ، د ت ، ص ٩٥ .
(٣) انظر : مكارم الأخلاق ، ابن أبي الدنيا ، ص ٩٦
(٤) انظر : مكارم الأخلاق ، ابن أبي الدنيا ، ص ٩٩
(٥) حلية الأولياء ، الأصبهاني ، ج ٥ ص ٣١
(٦) انظر : حلية الأولياء ، الأصبهاني ، ج ٥ ص ٣١ ، وسير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج ٥ ص ٢٩٦

معتكف فرجعوا إلى الحسن فأخبروه فقال قولوا له : يا أعمش أما تعلم أن مشيك في حاجة أخيك المسلم خير من حجة بعد حجة فرجعوا إلى ثابت فترك اعتكافه وذهب معهم[١].

- الإمام مالك(ت:١٥٠هـ) كان يعود المرضى[٢].

- إبراهيم بن أدهم(ت : ١٦٢هـ) : قال علي بن بكار: كنت أنا وأبو إسحاق القواري وإبراهيم بن أدهم ومخلد بن الحسين رفقاء وكان إبراهيم خادمنا ، قال : فكان إذا حضر كأن الطير على رؤوسنا هيبة له وإذا غاب انبسطنا ولم يكن أحد فينا يجترئ أن يخدم [٣] .

ولا تنتهي أخبار السلف عند حد في ذلك وقد حفلت كتب التراجم والسير ببعض أخبارهم أذكر منها ما يلي :

-قال عبد الله بن عثمان المروزي (ت :٢٢١ هـ) الإمام الحافظ محدث مرو : ما سألني أحد حاجة إلا قمت له بنفسي فإن تم وإلا قمت له بمالي فإن تم وإلا استعنت بالإخوان فإن تم وإلا استعنت بالسلطان [٤].

- بقي بن مخلد الأندلسي (ت : ٢٧٦هـ) ، مشى مع ضعيف في مظلمة من قرطبة إلى أشبيلية ومشى مع آخر إلى إلبيرة ومع امرأة ضعيفة إلى جيان [٥].

- الرازي أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (ت : ٣١١هـ) : كان كريما متفضلا بارا بالناس وحسن الرأفة بالفقراء والمرضى حتى كان يجري عليهم الجرايات الواسعة ويمرضهم [٦].

---

(١) جامع العلوم والحكم ، ابن رجب ، ص٥١٠ وانظر : دليل الفالحين ، ابن علان ، ج ٢ ص ٢٥

(٢) انظر : الفهرست ، ابن النديم ،دار المعرفة ، بيروت ، د ت ، ص ٢٨٠

(٣) تهذيب تاريخ دمشق ، ابن عساكر ، هذبه : عبد القادر بدران ، دار المسيرة ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ ج ٢ ص ١٨٦

(٤) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج ١٠ ص ٢٧١

(٥) انظر : سير أعلام النبلاء ،الذهبي ، ج١٣ ص ٢٨٥ وجيّان بفتح الجيم والياء المشددة مدينة شرق قرطبة ، معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، دار الفكر ، بيروت ، د ت . ج ٢ ص ١٩٥

(٦) الفهرست ، ابن النديم ، ص ٤١٦ ، سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج١٤ ص ٣٥٤

- محمد بن علي المروزي(ت :٣٢٠هـ) الإمام الحافظ المحدث قاضي نيسابور عرف بالخياط لأنه كان يخيط للأيتام والمساكين حسبة [١].

- يحيى بن عيسى بن جزلة الطبيب (ت٤٩٣هـ) كان نصرانيا ثم أسلم وصنف رسالة في الرد على النصارى وبين عوار مذاهبهم ومدح فيها الإسلام وأقام الحجة على أنه الدين الحق وذكر فيها ما قرأه في التوارة والانجيل من ظهور النبي ﷺ وأنه نبي مبعوث وأن اليهود والنصارى اخفوا ذلك ولم يظهروه ثم ذكر فيها معائب اليهود والنصارى وهي رسالة حسنة أجاد فيها وهو من المشاهير في علم الطب وعمله وكان يطبب أهل محلته ومعارفه بغير أجرة ويحمل إليهم الأشربة والأدوية بغير عوض ويتفقد الفقراء ويحسن إليهم[٢].

- كان محمد بن أحمد بن جبير(ت : ٦١٤هـ) من أهل المروءات عاشقا في قضاء الحوائج والسعي في حقوق الإخوان والمبادرة لإيناس الغرباء ويقول:

يحسب الناس بأني متعب في ... الشفاعات وتكليف الورى

والذي يتعبهم من ذاك لي ... راحة في غيرها لن أفكرا

وبودي لو أقضي العمر في ... خدمة الطلاب حتى في الكرى [٣]

- عفيف الخازن (ت : ٦٣٧هـ) كان لا يمل من الشفاعة وقضاء حوائج الناس حتى لو قيل: إنه لم يبق ببغداد من غني ولا فقير إلا قضى حاجته لكان حقا[٤].

- شيخ الإسلام ابن تيمية (ت : ٧٢٨هـ) وكان في كل أسبوع يعود المرضى في المستشفيات، فكان يعود المرضى بالبيمارستان بدمشق في كل أسبوع فجاء على عادته فعادهم فوصل إلى شاب منهم فدعا له فشفي سريعا وجاء إلى الشيخ

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج١٤ ص٥٦٤

(٢) انظر : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ابن أبي أصيبعة ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، تحقيق : الدكتور نزار رضا.د ت. ج١ ص ٣٤٣.

(٣) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، أحمد بن محمد المقري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٨٨هـ ،ج ٢ ص ٤٨٨

(٤) انظر : التاج المكلل ، صديق خان ،دار السلام ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٣٧

يقصد السلام عليه فلما رآه هش له وأدناه ثم دفع إليه نفقة وقال قد شفاك الله فعاهد الله أن تعجل الرجوع إلى بلدك أيجوز أن تترك زوجتك [١].

– برهان الدين ابن الفركاني الدمشقي مدرس البادرائية[٢]، (ت : ٧٢٩هـ) : كان له حظ من صلاة وصيام وذكر ولطف وتواضع ولزوم خير وكف عن الغيبة وعن أذى الناس وكان واسع البذل يعود المرضى ويشهد الجنائز وفيه طولة روح على تفهيم الطلاب وثناء على فضائلهم وسعي لهم في حوائجهم [٣].

ولم يكن الأمر مقصورا على قضاء حوائج المسلمين بل حتى غير المسلمين نالوا حظهم من قضاء حوائجهم والشفاعة لهم ، والنصوص الواردة في البر والإحسان إلى غير المسلمين من الذميين والمستأمنين كثيرة ، وأذكر هنا شاهدين فقط الأول لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ فقد مر ﷺ بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر ، فضرب عضده من خلفه وقال : من أي أهل الكتاب أنت ؟ قال : يهودي ، قال : فما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال : أسأل الجزية والحاجة والسن ، قال : فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال : انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) والفقراء هم المسلمون ، وهذا من المساكين من أهل الكتاب ، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه [٤].

والشاهد الثاني للإمام الأوزاعي (ت : ١٥٧هـ) : فقد روي أن نصرانيا أهدى إلى الأوزاعي جرة عسل فقال له : يا أبا عمرو تكتب لي إلى والي بعلبك ،

(١) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ، عمر بن علي البزار ، المكتب الإسلامي ، بيروت ط٣ ، ١٤٠٠هـ ، ص ٦٠ .

(٢) البادرائية من مدارس دمشق أنشأها عبد الله بن محمد البادرائي ، انظر: الدارس في تاريخ المدارس ، عبد القادر الدمشقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ ، ج١ ، ص ١٥٤ .

(٣) من الوافي بالوفيات ، خليل الصفدي ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط ١٤٢٠هـ ج٦ ، ص ٣١ .

(٤) كتاب الخراج ، أبو يوسف، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ، ص ١٢٦ .

فقال : إن شئت رددت الجرة وكتبت لك ، وإلا قبلت الجرة ولم أكتب لك قال : فرد الجرة وكتب له ، فوضع عنه ثلاثين دينارا [١].

والأقوال المحفوظة والأفعال المروية في شأن السلف واهتمامهم بخدمة مجتمعاتهم كثيرة جدا ، وهي تؤكد تطبيقهم لهذا الأمر، وامتثاله في حياتهم حتى صار من سجاياهم المألوفة .

[١] انظر : حلية الأولياء ، الأصبهاني ، ج ٦ ص ١٤٣

المبحث الخامس
أهمية قيام الداعية بخدمة المجتمع

مما تقدم من النصوص والشواهد يتأكد أهمية قيام الداعية بخدمة المجتمع وقضاء حوائج المدعوين، وهو من الإحسان إلى الخلق، "وقد دل العقل والنقل والفطرة وتجارب الأمم على اختلاف أجناسها ومللها ونحلها على أن التقرب إلى رب العالمين وطلب مرضاته والبر والإحسان إلى خلقه من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر فما استجلبت نعم الله واستدفعت نقمة الله بمثل طاعته والتقرب إليه والإحسان إلى خلقه ، وقد رتب الله سبحانه حصول الخيرات في الدنيا والآخرة وحصول السرور في الدنيا والآخرة في كتابه على الأعمال ترتيب الجزاء" [١].

إن خدمة المجتمع التي تعني كما تقدم الإحسان إلى الناس والقيام على شؤونهم، وقضاء حوائجهم والجود عليهم بالنفس والمال والوقت ، ينبغي أن تكون سمة رئيسة للدعاة إلى الله ، ومما يؤكد أهمية ذلك للداعية مع ما تقدم من الشواهد ما يلي :

١- إن قيام الداعية بخدمة المجتمع وقضاء حوائج الناس فيه اقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وتعظيم لسنة النبي ﷺ والاقتداء به في هديه ، وأولى الناس باتباع سنن المرسلين هم الدعاة إلى الله .

٢- إن في خدمة المجتمع وقضاء حوائج الناس الأجر العظيم المترتب على ذلك في الدنيا والآخرة، والجزاء من جنس العمل، فالرجل الذي تجاوز عن المعسر تجاوز الله عنه كما جاء عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (كان تاجر يداين الناس فإذا رأى معسرا قال لصبيانه تجاوزوا عنه لعل الله يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه) [٢].

والإحسان إلى الناس بخدمتهم باب لدخول الجنة كما تقدم في حديث الأربعين خصلة ، وهو سبيل إلى معونة الله للداعية كما جاء في الحديث المتقدم : (والله في

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د ت ، ص ٩

(٢) رواه البخاري ، كتاب البيوع ، باب من أنظر معسرا ، رقم الحديث : ٢٠٧٨

عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)[١]، قال العلماء : وهذا إجمال لا يسع بيانه الكتب ولا تسع تفسيره ، فإنه مطلق في سائر الأحوال والأزمان فإن العبد إذا عزم على معاونة أخيه بقلبه أو بدنه أو ماله أو غيرها فإن الله في عونه وتأمل دوام هذه الإعانة فإنه ﷺ لم يقيدها بحالة خاصة بل أخبر بأنها دائمة بدوام كون العبد في عون أخيه[٢]. وفي الحديث عظيم فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو جاه أو إشارة أو نصح أو دلالة على خير أو إعانة بنفسه أو سفارته أو وساطته أو شفاعته ، أو دعائه له بظهر الغيب[٣].

٣- إن خدمة المجتمع وقضاء حوائج الناس سبيل إلى محبة المدعوين فبه يستجلب الداعية حب المدعوين إذ النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها .

٤- إن قيام الداعية بذلك لا يشغله عن دعوته بل هو سبيل إلى تنظيم حياته، ويؤخذ من قيام أبي بكر ﷺ بحلب أغنام الحي قبل الخلافة وبعدها تنظيمه ﷺ لوقته لمساعدة الناس وبدون هذا التنظيم يصبح العمل شاقا على الداعية، ولا بد مع ذلك من النية الصادقة وعدم طلب الجزاء على ما يقوم به كما هي حال الأبرار الذين قال الله تعالى عنهم: (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) [٤].

٥- إن خدمة المجتمع وقضاء حوائج المدعوين من مراتب الجود، وقد كان النبي ﷺ أجود الناس ، والداعية ينبغي أن يكون كذلك، والجود مراتب : منها : الجود بالنفس وهو أعلى مراتبه ، ومنها : الجود بالرياسة فيحمل الجواد جوده على امتهان رياسته والجود بها والإيثار في قضاء حاجات الناس ، ومنها : الجود براحته ورفاهيته وإجمام نفسه فيجود بها تعبا وكدا في مصلحة غيره ، ومنها : الجود بالنفع والجاه ، كالشفاعة والمشي مع الرجل إلى ذي سلطان ونحوه ، وذلك زكاة الجاه المطالب بها من

---

(١) رواه مسلم ، وتقدم تخريجه ص ١٥

(٢) انظر : فتح المبين لشرح الأربعين ، ابن حجر الهيثمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ ، ص ٢٥٧ .

(٣) فتح المبين لشرح الأربعين ، ابن حجر الهيثمي ، ص ٢٥٥

(٤) سورة الإنسان ، الآية : ٨

له جاه ، كما أن التعليم وبذل العلم زكاته . ومنها : الجود بنفع البدن على اختلاف أنواعه[١]. وفي هذه المراتب خدمة للمجتمع وقضاء لحوائج المدعوين .

٦- إن قيام الداعية بخدمة المجتمع وقضاء حوائج المدعوين فيه تعظيم لشأنه ودعوة للناس إلى الاقتداء به وهو من التواضع لله ومن تواضع لله رفعه الله، فإماطة الأذى عن الطريق مثلا قد يتساهل فيها البعض أو يأنف منها، وهي من شعب الإيمان، ومن أسباب السعادة للمرء والداعية أولى الناس بالتزامها المؤدي إلى دفع مفسدة بيئية يتحقق بها صورة من صور الخدمة الاجتماعية .

٧- إن قضاء حوائج الفقراء والأيتام طريق للداعية إلى التجريد وإخلاص القصد في قيامه بخدمة هؤلاء الضعفاء والأيتام، ولم يكن لكافلهم - والله أعلم - ميزة مرافقة النبي ﷺ في الجنة إلا لتجريد من يكفلهم في العطاء والإحسان .

٨- وفي خدمة المجتمع قوة للداعي فحضوره المتواصل يخدم دعوته ، حيث يشارك الناس همومهم وآلامهم وآمالهم ، لا يشغله عن المدعوين شاغل بل هم شغله الشاغل بعد الله عز وجل ، فيرى في العزاء وفي الفرح ، وعند الحوادث والحاجات ، يكفكف دمعة ، ويرسم بسمة ، ويفتح أبواب الرجاء أمام المدعوين ، فتنساق القلوب إليه وتطمئن لرؤيته ، وتستجيب لدعوته .

٩- وفي قيام الداعية بخدمة المجتمع تبرؤ من العجز والكسل ، وقد تعوذ النبي ﷺ من الكسل فعن أنس ﷺ قال : كان النبي ﷺ يقول : (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات) [٢]. ويفرق بعض العلماء بين العجز والكسل بأن العجز هو عدم القدرة على الشيء ، وقيل : ترك ما يجب فعله والتسويف به ، والعاجز معذور والكسلان لا ، وكلاهما يستحب التعوذ منه [٣]. إن الكسل من الأخلاق المذمومة التي تحرم صاحبها من فعل الخير ، ولا يزال الكسل بالمرء حتى يصرف عنه كل وجوه الخير .

---

(١) انظر : مدارج السالكين ، ابن القيم ، ج ٢ ص ٢٣٩-٢٤٢ .

(٢) رواه مسلم ، كتاب كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره ، رقم الحديث : ٢٧٠٦ .

(٣) انظر : شرح صحيح مسلم ، النووي ، ج ١٧ ص ٢٨ .

١٠- وفي قيام الداعية بخدمة المجتمع فيه مواساة للمدعوين ، قال ابن القيم رحمه الله : "المواساة للمؤمنين أنواع : مواساة بالمال ، ومواساة بالجاه ، ومواساة بالبدن والخدمة ، ومواساة بالنصيحة والإرشاد ، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم ، ومواساة بالتوجع لهم ، وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة وكلما قوي قويت ، وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله ولأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم له "[١].

ومن ذلك مواساة الداعية للمدعو إذا مرض ، قال العز بن عبد السلام : " وفي عيادة المريض جبر له يخفف من مرضه وينعش قواه لا سيما إذا عاده الأكابر " [٢].

١١- وفي قيام الداعية بخدمة المجتمع طريق إلى الخلاص من آفات النفس ففي خدمة الداعية للمدعوين وقضاء حاجاتهم قضاء على الأثرة والكسل وكسر للكبرياء .

١٢- وقضاء حوائج المدعوين وخدمتهم سبب لانشراح الصدر، قال الإمام ابن القيم: "وكان هديه ﷺ يدعو إلى الإحسان والصدقة والمعروف ولذلك كان ﷺ أشرح الخلق صدرا وأطيبهم نفسا وأنعمهم قلبا فان للصدقة وفعل المعروف تأثيرا عجيبا في شرح الصدر" [٣]. ولذلك ينبغي أن يقبل الداعية على قضاء الحوائج مع محبته للقيام بذلك، فليس المقصود أن نفعل الخير فقط لكن أن نفعله ونحن نحب أن نفعله فهذا هو مقصود الشرع ، وهو من كمال إيمان المرء، وفي الحديث قال ﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[٤]. وقد رغب ﷺ في أن يلتزم المرء على نفسه أن يفعل ما يحب أن يفعل به ، فعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال : قال ﷺ : (فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى

---

(١) الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٣هـ ، ص ٢٤٦ .

(٢) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال ، العز بن عبد السلام، بيت الأفكار الدولية، الأردن ، د ت ، ص ٢٢٣

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن قيم الجوزية ، ج ٢ ص ٢٣

(٤) رواه البخاري ، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه رقم الحديث : ١٣

الناس الذي يحب أن يؤتى إليه)[١] وهذا من جوامع كلمه ﷺوبدائع حكمه وهذه قاعدة ينبغي الاعتناء بها وهي أن الإنسان يلتزم ألا يفعل مع الناس إلا ما يحب أن يفعلوه معـــه [٢].

١٣- إن قيام الدعاة بخدمة المجتمع في هذا العصر من أهم المهمات ، حيث أصبح لكثير من المؤسسات التي لا تدين بالإسلام جهود عبر أفرادها لخدمة الآخرين وقضاء حوائجهم . فتسعى كثير من مؤسسات التنصير عبر أفرادها إلى الوقوف على حوائج الناس ، واستغلال حاجتهم لإيصال الدعوة إليهم ، ويجعلون ذلك من الأولويات يقول أحد المنصرين : " الناس لهم احتياجات مختلفة في أوقات مختلفة ويجب أن نبدأ حيث توجد هذه الاحتياجات" [٣]. وفي سبيل ذلك تسعى المؤسسات الدينية إلى الهيمنة على النشاطات الخدمية في المجتمعات المستهدفة، وتنشئ لأجل ذلك كليات ومعاهد للخدمة الاجتماعية [٤].

إن هناك العديد من مظاهر خدمة المجتمع في حياة الداعية ، ومجالات خدمته لمجتمعه تتزايد وتتنوع ، والداعية الحصيف من يسعى إلى إشباع حاجات المدعوين بكل عمل مشروع ومن ثم ينبغي أن لا يغلق الداعية بيته أمام مدعويه بل عليه أن يسعى إلى إيواء المحتاج ، ويقضي حاجة من يحتاج مع مراعاة أنظمة مجتمعه ودولتـــه .

١٤- إن نفع الناس وقضاء حوائجهم والسعي في مصالحهم منحة من الله عـــز وجل يمن بها على من يشاء من عباده ، وفي الحديث قال ﷺ : (إن لله قومـــا يختصهم بالنعم لمنافع العباد ويقرها فيهم ما بذلوها فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم) [٥]. وإنهـــا لمنحـــة تدل على محبة الله للعبد وفي الحديث : (أحب

---

(١) رواه مسلم ، كتاب باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ، رقم الحديث : ١٨٤٤ .

(٢) انظر : دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، ابن علان الصديقي ، ج ٣ ص ١٣٣ .

(٣) التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ، أبحاث مؤتمر كلورادو ١٩٧٨م ، ص ٩٠١ .

(٤) انظر : الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية، محمد عبد الهادي ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ١٠ - ١٣ أغسطس ،١٩٩١م ، ص ٣ .

(٥) رواه ابن أبي الدنيـــا ، قضـــاء الحوائج ، مكتبة الساعي ، الريـــاض ، د ت ، ص ٢٤ وحسنه الألباني ، انظر : صحيح الجامع الصغير وزيادته ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٦هـــ، ج١ ص ٤٣٢ ، رقم الحديث : ٢١٦٤ .

العباد إلى الله أنفعهم لعباده)[١]. وفي رواية : (أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للنـــاس)[٢].

١٥- إن قيام الداعية بذلك سبيل إلى حفظه في دينه ودنياه وأهله وماله، فعن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: (عليكم باصطناع المعروف فإنه يمنع مصارع السوء وعليكم بصدقة السر فإنها تطفىء غضب الله عز وجل)[٣].

١٦- إن قيام الداعية بخدمة المجتمع وقضاء حوائج المدعوين صدقة يتصدق بها على نفسه ، فكل معروف صدقة ، وفي الحديث قال ﷺ : (كل يوم تطلع فيه الشمس قال تعدل بين الاثنين صدقة وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة قال والكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة)[٤] وفيه ترغيبه ﷺ في السعي إلى الطاعات ، فقوله ﷺ : (وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة) قال العلماء : وكذا إلى سائر الطاعات كطلب العلم وصلة الأرحام وزيارة الإخوان [٥].

ومما تقدم يتبين أهمية قيام الداعية بخدمة المجتمع لا سيما في العصر الحاضر، حيث تعددت مجالات نفع الآخرين وتيسرت كثير من الأسباب المعينة على ذلك والله يهدي من يشاء بكرمه وفضله إلى أحسن الأخلاق والأعمال .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا ، قضاء الحوائج ص ٤٧ وحسنه الألباني ، مرسلا من رواية الحسن انظر : ج١ ص صحيح الجامع حديث رقم ١٧٢.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ، مكتبة الزهراء ، الموصل ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـــ ، ج١٢ ص ٤٥٣، وحسنه الألباني ، انظر: السلسلة الصحيحة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٣هـــ ج٢ ص ٦٠٨ رقم ٩٠٦ .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا ، قضاء الحوائج ، ص ٢٥ وصححه الألباني ، انظر : صحيح الجامع ، ج٢ ص ٧٤٨ رقم الحديث : ٤٠٥٢ .

(٤) رواه مسلم ، وتقدم تخريجه ص ١٦ .

(٥) انظر: دليل الفالحين ، ابن علان ، ج ٢ ص ٤٤ .

الخـاتمة

الحمد لله أولا وآخرا على إتمام هذا البحث الذي تبين من خلاله جملة حقائق تبين أهمية تكامل شخصية الداعية وشمول مهمته الدعوية فليست دعوته مقصورة على درس أو خطبة أو مقالة أو محاضرة بل تمتد إلى قيام الداعية بخدمة المجتمع وقضاء حوائج الناس

كما تبين من خلال البحث النتائج التالية :

١- إن القيام بقضاء حوائج المدعوين وخدمة المحتاجين إليه ، من سنن الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

٢- إن هدي نبينا محمد ﷺ أكمل هدي في قضاء حوائج المدعوين، ترغيبا بقوله وفعله ﷺ .

٣- إن الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من التابعين وسلف الأمة كانوا يعظمون شأن قضاء الحوائج وخدمة المدعوين، ويقومون بذلك .

٤- إن الداعية لا ينبغي أن يغفل عن خدمة المدعوين وقضاء حوائجهم بحجة انشغاله وكثرة أعماله ، بل ينبغى أن يكون قدوته في ذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم الذين كانوا مع عظيم مهامهم لم يغفلوا عن هذه الخصلة .

٥- إن قيام الداعية بخدمة المجتمع وقضاء حوائجه طريق له إلى قلوب المدعوين فضلا عن أنه وسيلة فعالة في دعوته لهم .

٦-إن خدمة المجتمع وقضاء حوائج المدعوين يقوم بها العلماء بمختلف فئاتهم، والأطباء منهم على وجه الخصوص كان لهم إسهامهم في ذلك .

وأخلص من ذلك إلى تقرير بعض ما ينبغي أن تسعى الدعوة إلى تحصيله عبر مؤسساتها وأفرادها ومن ذلك ما يلي :

١- أهمية قيام المؤسسات الدعوية بتأهيل الدعاة، وتدريبهم على كيفية القيام بخدمة المدعوين وإقامة دورات تدريبية في ذلك .

٢- أهمية قيام الداعية باستغلال المواسم والمناسبات في خدمة المجتمع وقضاء حوائج المدعوين .

٣- إنشاء مؤسسات خدمية دعوية تسعى لقضاء حوائج المدعوين .

٤- أهمية القيام بخدمة كبار السن وقيام الداعية بخدمتهم أصل في دعوته ، وتقدم فعل الصديق والفاروق رضي الله عنهما مع كبار السن، ورعايتهما لهم ، مع قيامهما بشؤون جميع المسلمين، ومن ثم تكون خدمة كبار السن واجبة على سائر الدعاة من باب أولى .

٥- تدريس مظاهر خدمة المجتمع وقضاء حوائج المدعوين في سير الأنبياء والصالحين في الكليات المتخصصة في تأهيل الدعاة .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه

المراجـع

١- أخبار المدينة ، عمر بن شبة ، دار العليان ، بريدة ، ط١ ، ١٤١١هـ.

٢- الأدب المفرد ، البخاري ، دار البشائر الإسلامية ،بيروت، ط ٣، ١٤٠٩ هـ.

٣- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ، عمر بن علي البزار ، المكتب الإسلامي ، بيروت ط٣ ، ١٤٠٠هـ.

٤- البداية والنهاية، ابن كثير، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٢هـ.

٥- التاج المكلل ، صديق خان ،دار السلام ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٦هـ.

٦- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي ابن عساكر ،دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥م .

٧- تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ .

٨- التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ، أبحاث مؤتمر كلورادو ١٩٧٨م .

٩- تهذيب الكمال، أبو الحجاج المزي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط ١، ١٤٠٠ هـ

١٠- تهذيب تاريخ دمشق ، ابن عساكر، هذبه: عبد القادر بدران، دار المسيرة ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ .

١١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢١هـ .

١٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، دار الفكر، بيروت ، ١٤٠٥هـ .

١٣- جامع العلوم والحكم ، ابن رجب الحنبلي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٧ ، ١٤١٧هـ.

١٤- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الشعب ، القاهرة ، د ت .

١٥- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية، بيروت ، د ت .

١٦- حلية الأولياء ، أبو نعيم الأصبهاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٥ ، ١٤٠٧هـ .

١٧- الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية ، محمد عبد الهادي ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ١٠ - ١٣ أغسطس،١٩٩١م

١٨- الدارس في تاريخ المدارس ، عبد القادر الدمشقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ .

١٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، جلال الدين السيوطي ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ .

٢٠- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، ابن علان الصديقي ، دار الفكر ، بيروت ، د ت .

٢١- رياض الصالحين ، الإمام النووي ،دار السلام ، الرياض ،ط١، ١٤١٧هـ .

٢٢- الرياض النضرة في مناقب العشرة ، المحب الطبري ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .

٢٣- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١٤ ، ١٤٠٧هـ .

٢٤- السلسلة الصحيحة ، الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٣هـ .

٢٥- سنن أبي داوود ، الإمام أبوداود السجستاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د ت

٢٦- سنن البيهقي الكبرى ، أحمد بن حسين البيهقي ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ .

٢٧- سنن الترمذي ، الإمام الترمذي ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٢هـ .

٢٨- سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠١هـ .

٢٩- شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال ، العز بن عبد السلام ، بيت الأفكار الدولية ، الأردن ، د ت .

٣٠- شعب الإيمان ، البيهقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ .
٣١- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض اليحصبي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ .
٣٢- الشمائل الشريفة ، جلال الدين السيوطي ، دار طائر العلم للنشر والتوزيع ، بيروت ، د ت .
٣٣- صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان البستي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ .
٣٤- صحيح الأدب المفرد ، الألباني ، دار الصديق ، الجبيل ، ط٢ ، ١٤١٥هـ .
٣٥- صحيح البخاري ، الإمام البخاري ، دار السلام ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٧هـ .
٣٦- صحيح الجامع الصغير وزيادته ، الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ .
٣٧- صحيح سنن الترمذي ، الألباني ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ .
٣٨- صحيح مسلم ، الإمام مسلم ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط١ ،١٤١٦هـ .
٣٩- صفة الصفوة ، ابن الجوزي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ .
٤٠- الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، دار بيروت ، بيروت ، ط ١٤٠٥هـ .
٤١- طرح التثريب في شرح التقريب ،زين الدين عبدالرحيم العراقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د ت .
٤٢- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين محمود بن أحمد العيني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د ت .
٤٣- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، تحقيق : الدكتور نزار رضا . د ت .
٤٤- غريب الحديث ، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي،دار الكتاب العربي ، بيروت، ط ١٣٩٦هـ.

٤٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، د ت .
٤٥- تمام المنة ببيان الخصال الموجبة للجنة ، لأبي الفضل عبد الله بن محمد الإدريسي ، مكتبة القاهرة ، مصر ، د ت .
٤٦- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار الفكر ، بيروت ، د ت .
٤٧- فتح المبين لشرح الأربعين ، ابن حجر الهيثمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ .
٤٨- الفهرست ، ابن النديم ،دار المعرفة ، بيروت ، د ت .
٤٩- الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٣هـ .
٥٠- فيض القدير شرح أحاديث الجامع الصغير ، عبد الرؤوف المناوي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط ١ ، ١٣٥٦هـ.
٥١- القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر ، ط ٢، د ت.
٥٢- قضاء الحوائج ، ابن أبي الدنيا ، مكتبة الساعي ، الرياض ، د ت .
٥٣- كتاب الخراج ، أبو يوسف ، دار المعرفة ، بيروت ،١٣٩٩هـ .
٥٤- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د ت.
٥٥- لسان العرب ، ابن منظور، دار صادر ، بيروت ، د ت .
٥٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ .
٥٧- المجموع شرح المهذب ، النووي ، دار الفكر ، بيروت ، د ت .
٥٨- محاسن الدين بشرح الأربعين ، فيصل المبارك ، دار اشبيليا الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ .
٥٩- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، أبو القاسم الأصفهاني ، دار القلم ، بيروت ، ١٤٢٠هـ .

٦٠- مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د ت .
٦١- المراسيل ، سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط ١ ، ١٤٠٨هـ .
٦٢- مراقي الجنان بالسخاء وقضاء حوائج الإخوان ، يوسف بن حسن المقدسي ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ .
٦٣- المستدرك على الصحيحين ، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ .
٦٤- المسند ، الإمام أحمد ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .
٦٥-المسند ، الإمام أحمد ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ .
٦٦- مسند الشافعي ، الإمام الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د ت .
٦٧- المصنف في الأحاديث والآثار ، ابن أبي شيبة ، الدار السلفية ، الهند ، ط١ ، ١٤٠٠هـ .
٦٨- معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، دار الفكر ، بيروت ، د ت .
٦٩- المعجم الكبير ، الطبراني ، مكتبة الزهراء ، الموصل ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ .
٧٠- المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، دار الدعوة ، القاهرة ، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، د ت .
٧١- المقدمة ، عبد الرحمن بن خلدون ، دار الكتب العلمية ، بيروت .، ط٤ ، ١٣٩٨هـ .
٧٢- مكارم الأخلاق ، ابن أبي الدنيا ، مكتبة الساعي ، الرياض ، د ت .
٧٣- الموطأ ، الإمام مالك ، دار إحياء التراث العربي ، مصر ، د ت .
٧٤- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، أحمد بن محمد المقري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٨٨هـ .
٧٥- الوافي بالوفيات ، خليل الصفدي ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط ١٤٢٠هـ .
٧٦- واقع خدمة المجتمع والتعليم المستمر في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، سالم بن محمد السالم ، مطابع الجامعة ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٩هـ